

يا قمر

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صرقي

من ذا يطيق السرى والليل معتكر
جهامة الليل لما ارتدت ساحته
ولم نكن نرى من فرط حلكته
حتى ليسأل ساري الليل صاحبه
فشع نورك إيضاحاً لظلمته
فأعجب لنورك تبدي الليل آيته
وأعجب لقرصك يقفو كل مدح
فأء - وكل نفيس القدر منعرب
تضيء كالدارة الفراء ملتعماً
سهران تمشي الهوينا مطرقاً أبداً
تجاول المشاهد في القمراء شاحبة
يا ليت أن حياتي كلها سمر
ومن يحن له لولاك يا قمر
عكستها متعة يحلو بها السهر
مقدار حلقة ما لا يبصر البصر
هل ادلهم الدجى أم قد عشى النظر
وبات يعرف كنه الظلمة البشر
وآية النور أن يعفى الدجى العكر
وإن تعارضت الوجهات والوطر
كما نأت في قرار العيلم الدرر
وغيب الليل كالأمواج منهمر
مشى الحكيم قد استغرقه الفكر
كأن عالمها الاشباح والصور
في ليلة وسميري انت يا قمر

البلاغة في اللغة العربية

من محاضرة القاها الاستاذ علي عبد الرزاق

من النتائج اللازمة لادراك الجمال في الكلام والتأثر به أن تنصرف العقول الى معرفة أسرار ذلك الجمال والبحث عن حقيقته وعن درجاته وعن كل ما يتصل بهذا الجمال وإذا اتجهت العقول الى هذه المباحث نشأت علوم البلاغة . فان علوم البلاغة ليست إلا هذه المباحث وما ينحو نحوها

إذن فمباحث البلاغة كما ترون قديمة وليس من البعيد أن تكون نشأتها فطرية في الناس كما كان إدراك البلاغة نفسها فطرياً في الناس منذ كان الانسان حيواناً ناطقاً على أنها اذا لم تبلغ في القدم هذا المبلغ فما لا شك فيه عندنا أن أقدم عصور الفلسفة اليونانية قد وجه أذهان الفلاسفة الى البحث في معنى البلاغة ووجوهها وأسرارها ضرورة ما كان لفنون الخطابة والجدل والكتابة والشعر أيام إذ من شأن كبير

وبما لا شك فيه عندنا أن أرسطاطاليس قد بحث في البلاغة ايضاً والى فيها كتاباً

وههنا ملاحظة نرجو ألا يغضب منها ساداتنا الفلاسفة والمنطقيون . فلقد يذهب بنا الظن والله أعلم الى أن علم المنطق الذي ينسب الى أرسطاطاليس . قد كان بحثاً في فنون البلاغة وعلماً من علوم البيان أكثر مما كان علماً من علوم الفلسفة وبحثاً من مباحثها . كان باباً من أبواب الأدب يدور حول صناعة القول وما يتصل بأغراض البلغاء من التأثير في العقول بضروب البيان وإخفاء الخصوم بوسائل الجدل ، أكثر مما يدور حول صناعة العقل ونظام التفكير الانساني

ربما تجدون هذه الحقيقة غريبة عليكم ، ولكن قد يساعدكم على ادراكها أن تلاحظوا العوامل التي أحاطت بنشأة المنطق والتاريخ الذي وجد فيه

ليس من غرضنا أن نقيم لكم البرهان على ذلك ولا يتسع له وقتنا ، ولكن الذي يشق عليكم من هذا الرأي سيدو لكم هيئاً سائغاً اذا أنتم نظرتهم في جملة أبواب المنطق ، فستجدون عندئذ أن شطراً كبيراً من تلك الأبواب ليس الا بحثاً في مسائل تتعلق بالالفاظ والمعاني والعلاقة بينهما ، وشطراً آخر ليس الا بحثاً في أساليب التحديد الاشياء وتعريفها وكيفية تأليف الحدود والتعاريف ، وشطراً آخر ليس الا بحثاً في وسائل الإقناع والتأثير من البرهان والخطابة والشعر

والجدل والفسفسطة وما يتصل بذلك من كيفية تأليف الحجج وتنظيمها ، ولم يبق بعد ذلك إلا ما يذ كر استطرادا وليس من جوهر المنطق فى شىء

وانه لمن غريب ما يلاحظ أن العرب قد سموا ذلك العلم بعلم المنطق ، كأنهم أدركوا أن علاقته بالكلام أقوى من علاقته بغيره . ومن الغريب أيضاً أن العرب قد سموا بعلم الكلام تلك المباحث التى أنتجها المنطق وأنتج بها نوعاً جديداً من الأدب واسلوباً طريفاً فى البيان ومنهجاً محبوباً من مناهج الجدل والاقناع خصوصاً فى الدين ، كأنهم مع ما تخلل تلك المباحث من دين أو فلسفة لم يلاحظوا فيها غير أنها فن من فنون البلاغة والأدب

نعم قد جهل اليونان أنفسهم والعرب والاوربيون ما فى المنطق من أدب وفن ، فخرجوا به الى حدود الفلسفة الجافة العميقة . وذلك كما جهل العرب أنفسهم فيما بعد ما فى علم الكلام من ادب وفن فخرجوا به الى حدود الفلسفة الجافة العميقة . وبذلك أصبح المنطق أسلوباً ركيكاً معقداً وعلماً لاخير فيه للفكر ولا للسان ، كما أصبح علم الكلام عندنا خليطاً من السخف الفكرى والغشائى اللفظية

وكذلك العلوم اذا تأملت تجدونها « تشقى كما تشقى العباد وتسعد »
مباحث البلاغة كما ترون قديمة لا يمكن الاهتداء إلى أول تاريخها . فكل من يدرك ان فى الكلام جمالاً يندفع من نفسه الى التماس معنى ذلك الجمال وسره والى البحث فى وجوه ما يزين الكلام وما يشينه

تلك هى المباحث التى يدور حولها علماء البلاغة فى كل امة ، وتلك هى المباحث التى يدور حولها بحث الفلاسفة اليونانيين ، ويدور حولها العرب منذ عصورهم الاولى ، وتلك هى مباحث البلاغة التى حيرت العقل البشرى منذ القدم والتى تواردت على حلها انظار العلماء والأدباء والفلاسفة من أهل الشرق والغرب قديماً وحديثاً . فيا ليت شعرى هل لقيت تلك المباحث من يحى لها بحل ومن يصل فيها الى قول فصل ، ام لا يزال العقل البشرى حيث كان من الحيرة بها والشك فى أمرها ؟

ذلك ما نريد ان نتحدث اليكم عنه قليلاً فى بقية هذه المحاضرة

هل يمكن تحميم البهروعة ؟

قد يكون الشىء واضحاً غاية الوضوح ومدركاً تمام الادراك ، ومع ذلك لا يسهل الوصول الى تحديد حقيقته ومعناه . مثال ذلك الضوء والكهرباء ، فالضوء جلى مبصر لكل ذى عينين ، والكهرباء محسوسة يستخدمها الناس فى كثير من مرافق الحياة . ومع ذلك لا يزال العلماء فى حيرة من حقيقة الضوء والكهرباء . وأيضاً كلنا نعرف الوجود معرفة واضحة ، حتى قال بعض

العلماء ان ادراك الوجود بديهي ، ومع ذلك لا يستطيع العلماء بسهولة ان يحددوا حقيقة الوجود ومعناه . وكذلك الجمال كلنا ندركه وتأثر به ونحدث عنه ، فاما حقيقة الجمال وحدوده فمطلب لا يزال عزيزا . ذلك هو شأن البلاغة يدركها الناس بالفطرة كما قلنا ويتأثرون بها ويتحدثون عنها ، فاما اذا ما ارادوا ان يعرفوا حقيقتها ويرسموا حدودها ويتبينوا اسرارها فهم يحاولون من ذلك امرا عسيرا ويطلبون غرضا بعيدا ويدخلون في مجال مشتببه الاعلام مظلم الجوانب . ذلك بان الناس في مباحث البلاغة لا يجدون مقياسا ثابتا يحتكمون اليه ولا اساسا واضحا يبنون عليه ولا مبدءا صريحا يصدر عن غرض ولا غاية معينة يرجعون اليها . فليست مباحث البلاغة كمباحث علم النحو مثلا مدارها على ما ينطق به العرب ، ولا كعلم الطب مرجعه الى ما تقتضيه التجارب ، ولا كعلم الحساب اساسه العقل الخالص ، ولكن مباحث البلاغة مذبذبة حيرى بين أيدي العلماء يردونها احيانا الى حكم العقل و احيانا الى حكم النقل و احيانا الى حكم الذوق ، ويجعلونها مرة من مباحث الالفاظ ومرة من مباحث المعاني ومرة من مباحث النظم والتأليف . فلا غرابة ان تتشعب بهم المذاهب وتفرق بهم الآراء

روى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين انه قيل للفارسي : « ما البلاغة ؟ » قال : « معرفة الفصل من الوصل . » وقيل لليوناني : « ما البلاغة ؟ » فقال : « تصحيح الاقسام واختيار الكلام . » وقيل للرومي : « ما البلاغة ؟ » قال : « حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . » وقيل للهندي : « ما البلاغة ؟ » قال : « وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . » وقال بعض اهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة . » اهـ

ذلك مثال تدركون منه مقدار اختلاف الاعاجم في ماهية البلاغة . على اننا لسنا بصدد ذلك وانما الذي يعيننا هو مذاهب العرب في البلاغة لا مذاهب العجم . وذلك هو الذي نحن بصدد الحديث معكم فيه

مباحث البلاغة في اللغة العربية

ان اقدم ما نعرف من تاريخ العرب وما وصل الينا من آثارهم ليدلنا على انهم كانوا يتحدثون في مناحي البلاغة ويبحثون عن وجوه الاحسان في الكلام منذ الايام الاولى في تاريخهم القديم . ولقد نظن ان العرب يمتازون عن سائر الامم بمزيد العناية بهذه المباحث والانصراف اليها

ويرجع ذلك الى طبيعة العرب اولا والى طبيعة اللغة العربية ثانيا

اما طبيعة العرب فلانها لاشك من اسلم الطبائع ونفوس العرب من اصفى النفوس وقالوبهم من اذكى القلوب ، ولا ريب في ان العرب من ادق الناس حسا وانقاهم فطرة واكرمهم سجية

واما اللغة العربية فلائن فيها من مرونة مالا نعرف له في لغة اخرى نظيرا . في الكلمات مرونة تساعدك على ان تشتق من الكلمة الواحدة عشرات من مختلف الصيغ للدلالة على مختلف المعاني . وفي الجمل مرونة تساعدك على ان تتخذ من الجملة الواحدة صورا كثيرة بالحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتغيير والتبديل تبعا لاختلاف ما تريد الدلالة عليه من دقائق المعاني المختلفة . وفي هذه اللغة سعة لا نعرف لها في لغة اخرى نظيرا . فهي لاتضيق بمخترع جديد ، ولا بمعنى جديد ، بل كلما احدثت لها موضوعا احدثت لك ما يناسبه من الاسماء والعبارات من اجل ما في هذه اللغة من المرونة والاتساع مع ما اختصت به من الحركات والسكنات ، تمتاز العربية بأنها من اغنى اللغات مادة وافرها اسلوبا وارجحها ساحة بضروب المجاز والتشبيه وسائر فنون البلاغة

ولستم تجدون اليوم في جميع الارض شريقها وغربها لغة قائمة وسعت ما وسعته اللغة العربية من صنوف الحضارة المختلفة وتقلبات الشئون عليها من نهضة وانحطاط وسلم وجهاد ، ومن تجمع الشعوب في حماها من كل لون ولسان . ثم لم يصبها من ذلك ما اصاب غيرها من اللغات ، بل خرجت من كل ما ابتليت به حية سليمة قوية ، فكانت بين اللغات الحية في عصرنا الحاضر من غير ريب اقدمها وجودا واصلبها عودا واجملها تاريخا . مزية خص الله جل شأنه لغة العرب بها منذ اختارها لسان دينه الخالد ولغة كتابه المحفوظ من اجل ما في طبيعة العرب من ذكاء وصفاء وما في لسانهم من متانة وسعة ، كان لمباحث البلاغة عندهم من الشأن اكثر مما عند الامم الاخرى ، فقد كانوا منذ عرفنا لهم تاريخا يتجادلون في الشعر ويوازنون بين شاعر وشاعر ويفاضلون بين بليغ وبليغ وما نظن أحدا غير العرب بلغ مبلغهم في تعظيم الكلام البليغ وتقديره ، وما نظن انك واجد غير العرب امة لعب بها البيان فاقامها واقعدتها وفرقتها وجمعها ورفعها ووضعها وما نظن احدا غير العرب استطاع ان يقول في اللسان ما قال زهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وصف القلب

٤٤
المستاذ محمد الزبيدي

من لقلب بين الجوانح عانى
شاعر في الضلوع يخفق بالمد
كم خيال له يضيق به الالف
وأمانى فيه كالزهر منها
فهو راث لما ذوى من أمانيه
باكياً شجوه وأنا نراه
قطع العيش بين خوف وأمن
فتراه حيناً يلج به الوج
وتراه يسيل كلماء لطفاً
صامت وهو لا ين عن حديث
بالسلطانة القوي ولا شيء
لا تلمنى اذا تبعت هواه
كم حداني الى هوى لم يدعني
قادى للهوى ولو كان يدري
لج فيه فكان شراً عليه
عصف الحب بالقلوب فقلب الا
مضغة في الضلوع يؤلمها المس
فوق موج الآلام تذهب حيزي
فهى بين الاحزان تفنى ويحى
جل من صاغها ميولا وأهوا
وبراها من الملائك نورا
فهى بين الضلوع لا تملأ الكف

جمع اليأس والمنى في مكان
في فيعيا عنه بيان اللسان
فظ فيسمو اليه بالخفقان
ما ذوى والقليل في ريعان
هـ ومستبشر بباقي الاماني
يتغنى بأعذب الالخان
ورجاء ناء وآخر دان
د وحينا يلوذ بالسوان
وتراه كالنار في الثوران
مطمئن في ثورة البركان
هـ عليه في الارض ذو سلطان
هو بعضى وأخذ بعناني
فيه أصغى لفكرتي وجناني
ما يلاقيه في الهوى لنهائي
ليتني قد عصيته إذ عصاني
يشت في حربه كقلب الجبان
غدت نهبة لصرف الزمان
كسفن تسرى بلا ربان
يها خيال التعليل والذسيان
هـ ولم يعد طينة الانسان
تتراءى في صورة الجثمان
وفيها صحيفة الاكوان

رجعة اوربا الى الاحتشام والتقيد^(١)

لأستاذ محمود عزمى

شاهد المشاهدون منذ القدم وأقرهم الاجتماعيون فى العصر الحديث ، ان العالم تنتابه عواصف خلاقية وتفكيرية كلما حلت به كارثة كبرى تخضعه لنوع من الحياة غير مألوف عادة . ويرجع علماء الاجتماع هذه الظاهرة الى رد الفعل المحتوم الذى يطلق الأعصاب اطلاقاً بعد ان تكون قد قيدت على الرغم منها تقيداً . والحروب هى المثل الانشائية تضرب للكوارث الكبرى التى ينتاب البشرية من جرائها ما ينتابها من عواصف تناخم الثورات فى كل شئ ، والتى يحمد الباحثون الاجتماعيون قيامها فى حياتهم اذ يعتبرونها تجربة اجتماعية لا يكتب لكثيرين ان يتبعوا تفصيلاتها ويراقبوا تطوراتها ويستخلصوا احكامها

وقد قامت الحرب العالمية الاخيرة فى منتصف سنة ١٩١٤ وعقدت معاهدات الصلح الخاصة بها فى سنة ١٩١٩ — وان كانت مؤتمرات تسوية الصلح الحقيقى ما تزال تعقد الى اليوم — فوقعت تحت اعيننا تجربة من تلك التجربات الاجتماعية التى يلذ للباحث المحلل ان يشهدها مهما بلغت الاحزان التى تفجر منها ، والحسرات التى تبعثها فى الأفراد وفى الجماعات بعثاً . والناس مشاربون على اعتبار « باريس » عاصمة العالم كله يحسبون كل ما يقع فيها من حوادث ويتجلى من مظاهر مثلاً لروح العصر مؤدياً للاتجاه الذى تريد البشرية المتحضرة ان تقصد اليه . وهم الى جانب هذا مشاربون ايضا على اعتبار « باريس » متفوقة على غيرها من العواصم فى مظاهر الخلاعة و « السهولة » رغم الشواهد التى يلقاها الباحث الجدى منبعثة من اواسط برلين ولندن ونيويورك للدلالة على أن ما يسند الى باريس انما هو مسند الى ظواهر أكثر منه الى حقائق مادية . ومهما يكن من أمر فان مشاركة الناس على هذين الاعتبارين تدعو الى حسابان « باريس » أكثر البيئات ملائمة للمشاهدة الاجتماعية التى تتصل بدرس موضوع الانطلاق التفكيرى والخلقى الذى يحتم وقوع الكوارث العالمية قيامه ثم يدرس رد الفعل المحتوم الذى يلى دوره دور ذلك الانطلاق الذى كثيراً ما يعبرون عنه بالتراخي " Relâchement "

الجزء فى الانطلاق بعد الحرب الكبرى

ولقد كانت أولى زياراتى لباريس بعد إذ غادرتها فى سنة ١٩١٢ إثر اتمامى الدراسة فيها ،

(١) اختارناها من مقال نشر منذ سنوات

كانت في ربيع سنة ١٩٢٠ فدهشت لما وجدت فيها هذا التراخي الذي كان راجعاً حتماً الى انطلاق الأعصاب من تلك الخطيرة التي قسرت على البقاء فيها مدى سنوات الحرب ، والى اعتبار « الفردية » الذي تفشى في الجماعة تفشياً خشي القوم أثره في كيان الجماعة . فكنت لا ترى للمجاملة مظهراً وكنت لا ترى لمجرد الادب في المعاملة مشهداً ، وكنت لا ترى لتيار التلذذ والاستمتاع بكل أنواعه جسراً يقف عند حده . وكان أظهر ما يتجلى إليك في هذا المضمار تلك الهبة من جانب النساء الى التساوى بالرجال في الزى والزينة ، والقيام بجميع أنواع الاعمال التي كانت الجماعة السابقة للكارثة الكبرى تعتبرها من اختصاص الرجل ، بل تعتبرها من التكاليف الملقاة على عاتق الرجل توقيراً للمشاق أن تحمل بالمرأة ، ذلك المخلوق الدقيق بل ذلك الطائر الذي لا يطلب اليه إلا أن يحلق في جمال السماء . وكنت ترى الى جانب هذا الذي يتجلى في ميدان « الانطلاق والتراخي » مظاهر أخرى في نواحي الفن وقد هجمت على مبادئه السامية نظريات « المسكبات » كما هجمت نغمات الزنوج وآلاتهم المزعجة وأنواع رقصهم القريب من البهيمية الاولى . كذلك تملكنت « الانفرادية » وظائف الاعضاء عند الرجال والنساء فتحكمت فيها الشهوات المطلقة حتى من قيود الطبيعة العادية ، بحيث أصبحت العلاقات الشاذة محل مباهاة النوعين ، الى حد أن أقيمت لها الأندية ، والى حد أن كونت لاجلها الجماعات الأدبية ، لا تقبل في حظيرتها إلا من كان متصفاً بذلك « الانطلاق المقلوب » بل أسست جماعة نشر لا تعضد غير الكتاب الذين يتصفون بذلك الاتصاف الجديد . وكذلك كان الحال في فن العمارة الحديثة ، وفي فن التأثيل الحديث ، حيث كان عدم القاعدة هو القاعدة وفوضى الضابط هي الضابط . وكان طبعياً مع ذلك كله أن تتجاوز تلك الروح ميادين الزينة والخلق والتفكير والفن الى ميادين السياسة وأنظمة الحكم ، فكان طبعياً أن ترى تيار « الشيوعية » يحاول دائماً أن يحرف أنظمة الحكم المقررة

المرجع الى التقييم

وقد اتفق لي أن كنت أتردد على باريس مرة في كل عام بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٣ فكنت أشهد تلك المظاهر سائرة في سبيل التجلي بخطوات أوسع من تلك التي كنت لاحظتها في سنة ١٩٢٠ ، وكنت اسمع أن التنافس في هذا المضمار ضارب أطنابه بين باريس وبرلين الى حد أن « المتدوقين » للطراز الحديث كانوا ينتظرون أن تسكون الغلبة آخر الامر لاهل الامبراطورية السابقة

ثم غبت عن باريس ست سنوات وعدت اليها هذا الصيف فلاح لي أن في الافق أمارات على توجه جديد يريد أن يشمل الفكر والفن والخلق والسياسة جميعاً ، وأن هذا التوجه انما يقصد العودة الى شيء مما كانت تتصف به الجماعة الأوربية قبل الحرب من الاحتشام المفروض والتقييد المتعارف عليه . فحسبت تلك الامارات ميلا الى التراجع الخير ، وأردت أن أسجل مشاهداتي

كى يطاع عليها قراء الهلال الشرقيون فيدروا ان لتلك الهبة الاولى سحداً قد وقفت عنده ، وان هناك تراجعاً قد بدأ القوم فيه . حتى لا يندفعوا هم في ذلك التيار الذى وقف بالفعل عند من كانوا هم خالقيه . فلا نضل مدهشين في تطوراتنا نستمسك لنسائنا بالحجاب الذى جاءنا عن طريق الفرس وقد نبذه الفرس أصحابه الأولون بالفعل ، ونستمسك بالطربوش على أنه لباسنا القومى في حين أن اليونان أصحاب بدعته والأتراك وسطاء نقله اليها قد نبذوه نبذاً بالفعل

التغيير في طرائق الحكم

شاهدت إذن بباريس هذا الصيف مظاهر عدة تدل على التراجع الحقيقى في ميدان التفكير والاخلاق والسياسة ، قصد التقيد بما كان شائعاً قبل الحرب من قيود مصطلح عليها لفائدة الجماعة ولمصلحة التناسق الذوقى العام

شاهدت فيما يتعلق بالحكم وسياسته وبالنظم الاجتماعية العامة واتجاهاتها ميلا الى الجدد في أخذ الأفراد والجماعات . فقد كانت الظاهرة المتجلية في حكم وزارة مسيو « بوانكاري » أنه كان كثير التهديد بالانسحاب من الحكم ، وكان كثير عرض الثقة بالوزارة كلما رأى مجلس النواب متباطئاً في التصديق على ما يقدم اليه من مشروعات . وكذلك كان حال مسيو « تارديو » وزير الداخلية - وهو واحد من تلاميذ الوزير الكبير « كليمنصو » - فقد حمل على الشيوعيين حملات صادقة لم تخل هجمات بعض النواب عليه دون استمراره فيها بحزم وعزم عظيمين . وكان آخر ما صدر عنه في هذا الميدان مقاومته لما كان الشيوعيون يريدون إقامته من مظاهرات عنيفة في أول أغسطس الماضى بعد أن فشلت تدبيراتهم لعيد العمال عيد أول مايو . فقد أعد مسيو « تارديو » عدته ومنع الضباط - ضباط البوليس وضباط الجيش في حامية باريس - من أن يمنحوا اجازاتهم العادية وضعاً لقواتهم كلها تحت تصرف الحكومة يوم أول أغسطس . وأذاع أبناء هذه الاستعدادات في مختلف السوائر السياسية والاجتماعية في باريس وفي غيرها من المدن الفرنسية ، فكان هذا الاستعداد وحده كافياً لعدم محاولة الشيوعيين القيام بأية حركة أو أية مظاهرة في باريس ، بينما قامت حركاتهم ومظاهراتهم في موسكو وفي برلين وفي فيينا وفي غيرها ولعل أكثر جدية من هذا وذلك تدليلاً على التوجه الجديد الذى يبدو في التفكير وفي الخلق العامين في أوروبا هذه الايام ذلك السكتيب الذى أخرجه مسيو « شارل بنوا » العضو بالمجمع العلمى الفرنسى واسماه « أمراض الديمقراطية أو فن الاستيلاء على أصوات الناخبين وعلى منصات الحكم » فقد ضمنه من الآراء الجريئة - وهو ذلك الحجة في البحوث السياسية والاجتماعية - ما ذهب به الى حد القول في مقدمته : « انى انصح إذن بتغيير النظام . وانى أوضح فكرتى وأحددها فأقول انى أقصد بهذا تغييراً في شكل الحكومة ، وبعبارة أوضح وأدق أقول بالعودة من الشكل الديموقراطى الى الشكل الملكى ،

التقييم في الموسيقى وفي الفن

وإذا نحن انتقلنا من ميدان الحكم والسياسة والنظم الاجتماعية الى المظاهر الفنية فانا نجد الناس قد ملت في باريس الاقبال على « المراقص » الحديثة وعلى الاستماع الى نوع الموسيقى الزنجى الذى يرقص الراقصون على نغماته ، وأصبحوا يتمنون لو كثرت بينهم بيئات الموسيقى الانشائية ولوعادت اليهم طرائق الرقص الانشائي . ولعل النجاح الذى قابله الفن الروسى الشهير « رياجيليف » - وقد توفى منذ شهرين - يرجع الى أنه كان يسعى فى أن يبعث على الأرض الاوربية ما قضى البلشفيون عليه من فن روسى انشائي بديع في الرقص وفي الموسيقى

ثم ارجع ببصرك الى التصوير والنحت وما يعرض من آياتهما فى المعارض العامة والخاصة ، فانك لا ترى الآن غير مظاهر النظريات الفنية الحديثة التى ابتعدت ابتعاداً عن ذلك التيار الجنونى الذى كان قد طغى على المعارض بعيد الحرب طغياناً بما كان فيه من ميل الى « الكوبيسم » و « الفوتوريسم » و « الداردايسم » . بل انك تجد الآن رجعة بديعة الى أحكام الفن الخالدة تطبق على موضوعات حديثة يتميز بها العصر الحاضر بلا شك . وكذلك الحال فيما يختص بفن العمارة وفن الاثاث ، تجد فيهما طبعاً الحديث من الميول والخطوط يميزها عن فن العمارة وفن الاثاث فيما سبق من عصور ، لكنك تجد فيهما أيضاً ميلاً الى الفائدة العملية والى الجمال الشائق ، تجد العمارات الجديدة « بسيطة » فى مظهرها لكنك تجدها قائمة على فكرة توافر وسائل الراحة كلها فيها ، فالأصول الجديدة تستلزم أن تكون النوافذ واسعة حتى يدخل الى الغرف الضوء والهواء . والاثاث هو الآخر حديث فى منظره لكنه قائم على فكرة الاستفادة من أجزائه كلها

التقييم فى الخلق

وتلك العلاقات الشاذة بين النوعين قد أخذ ظل عدم الاكتراث لها يتقلص ، فأصبحت تستمع فى كل مكان الى انتقادات مرة توجه الى « عصابات » الكاتب الشهير « اندرى جيد » ومن اليه من جماعته الخلقية والأدبية ، إذ أصبحت تستمع الى عبارات الغضب يصب جامها على رأس « فيكتور مرجريت » ومؤلفاته الاخيرة . بل انك أصبحت تجد مسيو « كياب » مدير البوليس الباريسى يجرؤ على أن يمنع تمثيل روايات يعرض فيها ذلك النوع من العلاقات الشاذة التى كانت تعرض على الجمهور فلا يرى فيها منكراً ، بل ان الجمهور نفسه قد أصبح فى باريس يطالب البوليس بتحريم تمثيل هذه الروايات . وقد حضرت ليلة مغادرتى باريس فى أواخر شهر اغسطس الماضى رواية اسمها « كارنافال » قابلت على أثر تمثيلها مؤلفها فاعترف انه اضطر أن يميل بنظرها الى التيار الخلقى حتى لا يغضب الجمهور وحتى لا يناله غضب مدير البوليس فيحرم تمثيلها أيضاً

خدمة الفكر في عصر المادة

بقلم الأستاذ اصيل زيرارة

نزاع الفكر والمادة قديم لم يخمد يوماً . ومع أن الغلبة في النهاية للفكر ، فدون تغلبه عقبات وأهوال وضروب من الألم والاضطهاد
أجل يفوز الفكر في آخر الأمر ، ولكنه لا يبلغ القمة الا على اشلاء خدامه
كل المراحل التي قطعتها البشرية انما كانت بفضل فئة ممن في صدورهم هب مقدس . ولكنهم
— وأسقاء — كانوا في الغالب يحترقون ليبددوا الظلمات ويضيئوا العالمين

قال برليوز الموسيقي الكبير وهو على فراش الموت : « الآن ستذيع مؤلفاتي وتتداولها
الأيدي ! »

هذا في الغالب نصيب رجال الذهن وخدام الفن . فانهم ما برحوا منذ القدم مغموطي الحق
لا ينالون الجزاء العادل لما ينتجون . وكثيراً ما يقضى العبرى حياته في شقاء العوز ، حتى اذا قضى
نال من التقدير ما لو نال بعضه في حياته لرد عنه غائلة الدهر وأناح له العيش في رغد وهناء
وهذا الاجحاف قد زادت وطأته كما زاد قبجه في كنف هذه الحضارة — هذه الحضارة التي
سخرت المادة وأقامت على أساسها صرحها العظيم فاذا بهذا الصرح يحرق روحها ويكتم أنفاسها . .
فبعد أن كانت المادة هي الخادم أصبحت هي المخدم . . .

إن حضارتنا الحالية مصابة « بتخمة » مادية . فقد طغت المادة على الفكر وأصبحت الكلمة
لهافي البدء وفي النهاية . فقيم الاشياء وقيم الناس مرتبة بحسب سلم حسابي مادي لا شأن فيه للعناصر
الروحية . فجمال النفس لا يكاد يقدم فيه درجة ولا سمو الفكر أو رقي الفن والادب
فكم حولنا من ثراء وقبح هبط عفواً ، وكم من ذهن يتألم وهو عامر بضروب الحسن الروحي .
كم من « بضاعة مادية » تافهة تروج وتجلب لاصحابها أطيب المتع ، في حين لا يجد أصحاب « البضاعة
الذهنية » منفذاً لأفكارهم أو متنفساً يخفف الضغط عن صدورهم !

لايسع من ينشد العدل الا أن تتور نفسه أمام هذه المظالم ، ولكن هذه الثورة لا تعدى
في الغالب سناً معينة ، ففي عهد الشباب حين يستفزنا كل ما هو جميل ويملك علينا مشاعرنا نحس

الحيف الواقع على خدام الفكر والجمال وتآلم نفوسنا لدى المحن التي تصيدهم ، حتى اذا فعلت الايام
فيها فعلها تبدلت مشاعرنا وتبدست عواطفنا وألفنا ما حولنا من صنوف الظلم
ان غضبات الشباب وثوراته الجميلة لا تلبث حتى تتحول مع السنين الى رضى بالامر الواقع
واستسلام لاحكام الزمان - وكم للزمان من حيف وإرهاق !

من هؤلاء المظلومين فئة أود أن أخصها بكلمة وهى فئة الادباء والشعراء . وهل من حاجة
الى تبيان شأن هذه الفئة فى حياة الامة ؟ من الناس طائفة عحيت قلوبها إلا عن مطالب الجسم ،
يسألونك : ما فائدة الادب وما فائدة الشعر ؟ وما سؤلهم هذا إلا كمن يسأل : لماذا خلقت الازهار
ولماذا تصدح الاطيوار فى الحقول ؟

خلق الانسان وله رجلان يمشى بهما على الارض ولكن له أيضاً عينيْن يحوب بهما أطراف
السما ، وله كذلك وجدان يخلق به فى الفضاء غير المتناهى . فالنزوع الروحانى أصيل فى طبيعته
وليس بالجبر وحده يحبى الانسان

ثم اسمع قول جوته : ان انحطاط الادب فى أمة نذير بانحطاط تلك الامة
واسمع قول الآخر : الامة التى ليس لها أدب قومى حقيق بان يعدو حدود بلادها - هذه
الامة تظل محتقرة لاشان لها فى نظر الأمم الاخرى
فالادب اذن لا يقتصر فائدته على ما ينشره فى النفوس من لذة روحية ومتمة ذهنية ، بل هو عامل
خطير فى تعزيز الحياة القومية ورفع شأن الشعوب

ولو أن النفس تبدوللعين كما يبدو الجسم لتغير نظرنا الى الناس إيما تغير .. فكم من جميل يصبح
قبيحاً ، وكم من قبيح يصبح جميلاً !

ولكن سواد الناس قلما يحفلون بما يجاوز حواسهم ، فهم يحكمون على ما يرون ويسمعون
ويلمسون . . . على أن سمة الرجل « المتقف » انه لا يقنع بما يبدو له أول وهلة بل ينفذ بفكره
إلى الباطن باحثاً عن الجمال الخفى - حياى الذهن والروح

حبذا العلم بدون هموم المادة ، وحبذا الفن والادب بدون ارهاق الحاجة . . . ولكن الاقدار
قد حكمت بغير هذا ، فالعالم والفنان والاديب وسائر خدام الفكر والذهن فى سعين يقوم على
اكتافهم رقى البشر وتقدم الحضارة ، لا ينالون عشر معشار ما يستحقون
فهل من وسيلة الى تلطيف هذا الحكم القاسى ؟
أمامنا ظالم ومظلوم . فلنتظر قليلاً فى أمرهما :

أما الظالم فهو المجتمع أو بالحرى نظامه الذى قصر عن إعطاء كل ذى حق حقه . فكيف نهديه سبيل الصواب والانصاف ؟

ليس ثمة غير وسيلة واحدة : تهذيب الرأى العام ورفع مستواه بحيث تعدل فى نظره قيم الاشياء وقيم الناس فيضع فى الرأس من هو حقيق بالرأس وفى الذنب من كان بالذنب احرى وإذا كانت الامة كالجسم فرجال الذهن منها بمنزلة الرأس ، هم الدماغ الذى ينبغى أن يسيطر على الاعضاء ويقوم لديها مقام المرشد الهادى

هكذا صور أفلاطون جمهوريته الفاضلة فقد وكل أمرها للحكام والعلماء ولكن الوصول الى هذه الغاية يقتضى أجيالا من التهذيب - يجب أن نروض نفوسنا على اكبار العناصر المعنوية واحلالها محل الارفع من حياتنا . يجب أن تصبح الثقافة فى نظرنا بمنزلة الحاجة التى لاغنى عنها - وما هى اليوم الا فى عداد الامور السكالية

وأما المظلوم فهو العالم أو الاديب أو الشاعر أو غيرهم من صرعى الحقيقة والجمال - فهل فى استطاعة الواحد منهم أن يخفف شيئا من وطأة الظلم الواقع عليه ؟ أجيب بلا تردد : نعم فى استطاعته أن يدبر أمره إلى حد كبير . لقد ألفنا أن نسمع عن رجال الفن والادب أنهم لا يحفلون بالماديات - كأن العوز زينة الفنان والاديب ، وعرفناهم بأنفون من النظام والترتيب ، فنفوسهم أبداً متمردة تأبى الخضوع والانقياد

ولكن هل يضرهم لو أنهم حسبوا لهذه الدنيا حسابا ولو ضئيلا ؟ ليقدر الفنان فنه وليقدس الاديب أدبه ... ولكن هل يستدعى ذلك أن ينسى حقائق الحياة الاولى ؟ كلا ... يمكنه ان يحفظ فنه أو أدبه فى منجاة من كل درن وفساد ، وفى الوقت نفسه يلتفت الى مقتضيات العيش فيمنحها قسطا من عنايته ، بل أذهب الى أبعد من ذلك فأقول : انه اذا عرف كيف ينظم حياته من الوجهة المادية سهل عليه أن يحتفظ بفنه سليما وبأدبه معززا نقياً

اذا كان للاديب أو الفنان ان يحتقر الماديات فلا يستعبدن نفسه لها ، فما الحاجة الانوع من العبودية ، فليضمن لنفسه الكفاية أولا - بأدبه او بوسيلة اخرى - حتى اذا ضمن القدر الأدنى امكنه ان ينصرف لما يصبو اليه فؤاده من مناجاة آلهة الفنون الرفيعة

والخلاصة ان المجتمع مقصر فى منح رجال الذهن مكانهم الجدير بهم ولكن رجال الذهن - ايضا - كثيراً ما يقصرون فى مسيرة المجتمع وادراك مقتضيات العيش يجب على المجتمع ان يفهمهم كما يجب عليهم ان يفهموه

في عيد القضاء الاهلى

يوم فصحمة لاسانه عبر الله عفيفى

يا منار العدل فى ساح القضاء
أنت نور الله فى آفاقه
أنت ظل الله فى سلطانه
لك فى « مصر » بناء راسخ
كتب الخلد على أبوابه
أيها المظلوم فى هذا الورى
إرفع الرأس ففى هذا الحمى
منطق المظلوم فيه من شبا
إن هذا الحق سيف وصلت
لا يبالى أى رأس مسه
هم سواء مثل ما صورهم
أيها الشادى ببرلين استمع
بلد هبت عليه نفحة
بسط العدل عليه ظله
وسرى الشرق اليه واحتفى
ونمى الفكر بها فى روضة
حين كان الشرق بجرأ من دم
شرد الاحرار فاستنوا الى
هى مصر، لم تزل مهد الهدى
حتى ذكرى العدل فيها انها
بنت خمسين ، سمت من عنصر
أزهت فى روض « عمرو » وزكت
وتولاها « فؤاد » فاستوت
ملك فى عدله أو فضله
« عمر » الفاروق ، ان شبيهه
لا يزل مغناك مرفوع البناء
للبرايا ، أنت وحى الانبياء
أنت رمز الود فيه والاخاء
شامخ الاعراف ، خفاق اللواء
فى سناء الحق سطرنا من ضياء
قف ! فهذا الباب من باب السماء
يشمخ الضعفى ، ويعنو الاقوياء
ويد الجبار فيه من هباء
مرهف الخدين مرهوب المضاء
قد تساوى الخلق من ذئب وشاء
بارى الاحياء من طين وماء
إن فى مصر قضاة وقضاة
من جلال الحق تحي من تشاء
فتوافى كل حر واستفاء
وسعى العلم ، وحج العلماء
فى ثراها كل أسباب النماء
ومزاجا من حتوف وشقاء
وطن الحر ودار النزلاء
وحى الحق ، ومشكاة الرجاء
مطلع المجد وعنوان السناء
أزلى الاصل ، درى الصفاء
بعد « عمرو » فى رياض الخلفاء
فى سواء بملا الارض القضاء
آية للحكم أو للحكام
وأبو « الفاروق » فى العدل سواء

ضمير قلق

بقلم الدكتور منصور فرهمي

اليوم لا علماء أكتب ولا منطقاً إنما هو حديث فتي مهموم في لحظة من تلك اللحظات التي تبعث فيها النفس أعز مكنونها من الشعور والاحساس . حديث فيه تاريخ حال من أحوال نفس بشرية ، يظفر منه القارئ بجزء صغير من أجزاء تلك الحقيقة الكلية العظمى التي لو استقصيتها لوجدتها مجموعة لتاريخ السكون في جزئياته ، وإن أكرم قسم في ذلك التاريخ ما تضمن أحوال النفوس ومنازعها
قال الفتى :-

انك تحسبني يا سيدى من أهل السرور وأنصار الصفاء ، يغريك بذلك ثغرى الضحك وارتفاع صوتى فى محافل الانس والطرب والتماس المجون فى كل إشارة وكل عبارة . على انك قد نسيت أيها العزيز تلك الاوقات التي ألبث فيها ذاهلاً عن الناس وأحاديثهم فتسندل على وجهى سحابة من الحزن ، لا تترك لناظر فيه ان يتبين علامة من علام النشاط والامل ، ولا تبقى من إشراقه ونضارة الشباب فيه إلا بسمه خاصة أوهم الناس بها انى معهم فيما يقولون وأفكر فيما يرتأون

إنه ليخجلنى البقاء يا صديقى فى جمع من الجموع وعلى مسوح السواد بينما تكون الناس راغبة فى المسرات واقفة عند أبوابها . ولقد أعمل جهدى على صد غارات الحزن المتتابعة على نفسى كما تتلاحق الامواج المرهوبة على جرف حطيم ، وحيث أعمد إلى البعد عن الناس حتى لا يشذ لباسى الاسود من الأسى عن سرايلهم النضرة من السرور

كنت أو من بطهارة الحياة إيماناً وكنت أحسن الظن بالناس أيما إحسان لاني لم أخرج إلى ساحة العيش إلا من عهد كما علمت قريب . وكنت عند عهدي بالشباب تليذاً مجداً كثيراً ما لابتست الكتب وانقطعت للدرس ، وقليل ما لابتست الناس ونظرت فى شؤون الحياة . ولقد جعل القضاء لطائفة من الكتاب الخياليين على سلطاناً . فكنت أصبو صغيراً للصور الجميلة والخلال الكريمة والاشباح الشريفة التي كانت تخرجها أذهانهم قبل ان أتصل بحقائق الحياة المرة المؤلمة

خرجت من عالم الكتب إلى عالم الناس ، وكنت أتوهم ان الناس تلقوننى لأعمل معهم وأكتب

تحت أعينهم صحيفة من سفر الحياة الواسع ، فأملأها برسوم الحق والواجب وآثار العمل والأمل وأصور فيها صورة الأب الصالح والزوج الوفي والوطنى الصادق والانسان العادل فى نفسه وفى الناس . وكنت أظن ان كلمات الحرية والاخلاص والفضيلة والرحمة والكمال وأمثالها بما وسعه المعجم تسعها معاملات الناس بعضهم لبعض . على اننى صدمت صدمة بالغة حين رأيت ان الناس يسرون على خلاف ما كنت أظن وان الحياة تكاد تكون جارية لمقادير غير ما كنت أقدر وان السجايا التى كنت أظنها من صفات البشر انما هى لمخلوقات خيالية تبصرنا ولا نبصرها وترانا ولا نراها

هالنى وأفزعنى ان أرى فى الحياة مسرحاً واسعاً للنفاق والرياء والخداع والباطيل ، وان هذه الأشباح الشنيعة قد صرعت تلك المخلوقات الشريفة التى نسميها الفضائل ، واستبدت وحدها بميدان الحياة كله

تساءلت : أكانت الكتب تخدعنى وتغير صور الاشياء فتجعل ضعفاء الحقيقة هم الأقوياء وأقوياءها هم الضعفاء ؟ ؟

أم هو الوجود لم يبلغ بعد فى تاريخ نشوئه طورا تنال فيه الفضائل منازلها من الكرامة والاجلال وتسير فى المعاملات كأنها الكواكب تجرى فى داراتها على سبيل ممهدة فتصح حينذاك القوة والغلبة ميزة للسجايا وحدها ؟ ؟

ثم تساءلت : هل فترة الحياة من شأنها أن يظل فيها أشباح خيالية تتخذ وكرها فى رموس البشر وتشبه الاملاك فى نورانية أجسامها وتفرى النفوس بالنزعات العالية ؟ أم توجد كرام السجايا حقاً عند أفراد اغنياء بأنفسهم عن الناس معززين منعمين بمداعبتها يحسبهم الجهال مهزومين وهم يعيشون كآلهة الاساطير يسخرون من نعم الناس ولهم من أنفسهم اكبر نعم ؟ وقلت فى نفسى بعد ذلك كله هل القوى فى الحياة الاجتماعية : هو من يخضع لنواميسها من الرياء والظلم فيخضع ويظلم ، أم هو الذى يحتقرها فى قوانينها يعيش تحت راية مبادئ أخرى تنسجها له تصوراتها وخيالاته السامية ؟ ؟

إن منشأ همى يا سيدى هو ذلك التنازع القائم بين ما تحن اليه نفسى ونزعاتها وبين المبادئ التى يقوم عليها المحيط الذى يضمنى

أعيش منفردا واحدا فى عالم الخيال أم أدخل إلى ساحة البشر وأخالع ثوبى الجميل الكريم ؟ ؟

في الحركة الوطنية^(١)

لمرسله صبحي شفيق المصري

تنكب طريقك لا تسلك فان الطريق الى مهلك
نعم أنت أعزل اعشى وحيد تثير الجلامد لو تشتكى
وبالجزع قامت جموع الحكمة وكل على سيفه متكى
لديهم قواذف ترمى الرصاص صواعق ما تنطلق تفتك
بأيد خلقت لسفك الدماء وللشر لولاه لم تسفك
طعام طفاة بغاة يبيعو ن قتل المصلين في المنسك
وعنداء آمنة تهادى الى اين ويحك لاتهنكى
ومن قبلها هتكوا المحصنات وشدوا عليهن في معرك
ويا طول ما تذرف العين اد معها للذى جاء في مائك
كتاب لانبائه في الفؤاد كوقع الشهاب أو النيزك
لما كان في بدرشين فرغون فالعطف فالصف فالشوبك
فوادي القرى من رشيد فدميا ط فالشاطئين الى الكرنك
بلاد دهاها العدو على غرة بالموحد والمشارك
بجند كسخرة المهرجان من الهند من برهم يضحك
وفتيان لندن من كل امرد غر وذى الشيبة الانوك

(١) من قصيدة نظمها الشاعر سنة ١٩١٩ عقب حوادث البدرشين وهجوم
المساكر على بيت الامة وهروب السيدات

جلنار (١)

بقلم الدكتور بشر فارس

حكى ان جلنار كانت ماسكة على مدينة من مدن فارس...
ولما جن الليل انتبذت جلنار ناحية من خدرها. وكانت الجنوب قد خف هبوبها وحملت على جناحها أريج الازاهير فنشرته في الحجرة، وأشعة القمر الفضية تنعكس في حوض مزين بأجمل الزخارف. وكائن الفوارة وهي تدفع مائه معولة لا ترتضى سلوى ولا عزاء. وكأني بها اذا سكنت محتضر انقضت أنفاسه. وكان النسيم بداعبها ويبعث بالماء الذي تدفعه لعلها تصفر طرباً، غير انها أضحت وقد تبين في نغمتها الشجو والأسى. ففي الحوض كان يرن من قبل رنين الثكلي إذ صار الآن غديراً ساكناً تألف مأوه من أدمع منسجمات بين صفحتها نشيج خافت أثر منظر الحوض وصوت فوارته في جلنار تأثيراً بلغ بها من الاضطراب مالا تطيق. فجعلت تفكر في حالها كيف تغير منذ الساعة التي نظرت فيها الى الامير، وهي لم تكن لتعلم ان شعوراً جديداً أخذاً من قلبها مأخذاً بليغاً قد لطف حتى دق عن فهمها. وكانت ترنو من حين الى آخر الى الباب، ثم تدير عينها الى النافذة وتتبع سكنات القمر في بساط السماء، ثم تعود يبصرها الى الحوض فيخطر لها ان تقذف بنفسها فيه رجاء ان تسكن من لبيب جسمها ببرودة الماء وان جلنار كذلك والسكون منبسط في جنبات القصر لا يمزقه الا صيحات الحراس ونبرات البلبل، إذ صر الباب ومثل به ذلك الامير العربي محجوب الوجه ا كحل العينين. فنظرت الملكة اليه لحظة، لم تقو في أثناءها ان تحدّثه كأنها دعرت من أمر فوجئت به. وأما الامير فظل جامداً في مكانه وجعل يصرف بصره في زوايا الحجرة كأنما هو بائع أثاث يقيم لما تضمه الحجرة الوزن الذي يراه له. ثم ان جلنار أشارت اليه: أن اجلس قبلي. فامثل الرجل صامتاً. فقالت له جلنار وفي صوتها شيء من الرعدة: ما سكوتك يا ضيفنا؟ قال: انما سكت اذ لا يجدر بي ان أكرم الملكة - جعلني الله فداها - قبل ان تفسح لي في الكلام. فبسمت جلنار وأسندت رأسها الى يدها، ثم قالت: صدقت يا أمير فردنا. ألسن القائل انك أسبق العرب في فن الحديث؟ قال: ذلك قلت. قالت: ايه لقد ضافني الهم ليلتنا هذه فعسى أن تحسن الينا فتحسن اليك. قال: على ذمة لا ذقت طعاماً ولا شرباً حتى أقضى عند الملكة - أكرمها الله - ما أنا قاض، وأما جزائي فحسبي

(١) خلاصة قصة نشرها الكاتب بالمقتطف

انى اليها جالس واياها أحدث . ثم جلس جلسته وشرع يروى قصة جميل وبثينة تلك القصة التي ظلت حديث الناس زماناً طويلاً . فبسط كيف نشأ جميل في قومه وكيف كان شاعراً مرقاً مقلداً . ثم انصرف الى حكايته مع بثينة وفراره من وجه الوالى ، ثم نزوله على بنى عذرة في الشام والحيلة التي احتلها عليه ضيفه اذ زين له سبع كهاب متبرجات عل ان تقع احدها من نفسه . ثم خبر كيف كان المحبان يلتقيان في الخلاء ويتعاطيان ويتراضيان ويشكو كل واحد ما يقاسي فيؤاسيه الآخر . ثم ذكر كيف نال الحب من قلوبهما منسلاً عنيفاً لا سبيل عنه . وكيف تزوجت بثينة رجلاً غير جميل ولم تنفك ترعى لجميل الذمة والميثاق وتحفظ له في قلبها مكاتته السابقة ، وهي تحبه حباً جماً لا رية فيه ولا شبهة . وكيف وشى بها ظلماً عند أبيها وقد كلف بها جميل وهام من أجْلِها ثم نهى عن لقاءها . فكان يصعد ليلاً الى ربوة ليستروح النسيم المقبل من نحوها وهو ينشد الاشعار ويبكى سوء طالعهِ . وكيف كان يتنكر ليستطيع الوصول اليها . فاحتبسته بثينة في خدرها ذات مرة ثلاث ليال وهو مستخف تحت ثياب متسول مسكين . وكيف كان يغنى وهو في الركب فتسميه بثينة من دون أترابها وتقبل اليه . ثم روى كيف ضج أهل بثينة وخشوا الفضيحة واستباحوا عند الامير دم جميل فقصدوا إلى أبيه ونشدوه الله ان يدفع ابنه عن فتاتهم . فدعاه أبوه وقال له أو ما تكف عن حب حرة تضمر لبعليها ما لا تضمره لك ؟ فبكى جميل وأبكى من حوله ثم انطلق إلى مصر حيث مات كدأ

تلك القصة التي أبدع الامير في روايتها ما شاء أن يبدع . وكانت جلنار تقاطعه في مستهلها فتسأله عن هذا وتستزيده من ذلك . ثم انها ما عثمت ان لزمت السكوت وجمعت للحديث بالها مخافة أن يفلت منها حرف . وكانت تزدد اضطراباً كلما ازداد الامير بياناً ، وكانت تتبع إشارات وكلماته حتى أمست أسير حديثه ولفقاته

وكانت حالها في ذلك حال كل فتاة قضت صباها لا تلمس السبيل إلى الحب ولا تقطع بشئ من أمره ، بل لا تعرف منه كثيراً ولا قليلاً . فنشأت ساهمة بعيدة من مضطرب النزعات والاحساسات التي لا بد لها أن تواتى النفس في حين قد أتيح لها . وكأن قصة جميل وبثينة أصابت من نفس جلنار موضعاً دقيقاً اندفعت منه عاطفة الحب بقوة . وذلك هو الحب الثائر الذي احتجب دهرآ وتجمد في القلب وتمسك بين جنبيه مثل الغمام المتلبد في زاوية من السماء ربأ لبث يوماً أو يومين عل حالته حتى تمر عليه ربيع باردة فترده مطراً

وكانت جلنار تصيح في وجه الامير إذا هو أكبر شغف بثينة بجميل : أفى استطاعتنا معشر النسوة أن نحب مثل هذا الحب ؟ كأنما الامر من وراء علمها فعظم عليها وقوعه . وان رذ الامير لغم جميل واشتكى حظه استدمعت وقالت : بأى أنت وأمى لو أحبني جميل ما حال بيني وبينه إلا خروج نفسي ...

مقتطفات

للدكتور احمد ذكي ابوشادي

النجوم

بُعثرت في السماء حتى تراءى
حاكت الضمائمات من مهج الخل
وتراءت حيناً لنا قبسات
ثم حيناً تلوح مثل ثقب
ينفذ الشاعر العظيم اليها
فإذا عاد بعد إسرائه الكا
خالق الكون مسرفاً في نظامه
ق، فكل بشعة من غرامه
من فم الدهر في عصور ابتسامه
خلفها الغيب رابض في غمامه
حين يخشى القضاء بأس اقتحامه
شف أعيا الانام مغزى كلامه

نشوة اليأس

دعوني أناجي اليأس في نشوة اليأس
أعيش بأرض للشياطين والاذى
حرام علينا مأمل في ربوعها
علام التماذي في متى حينما نرى
أعلق في الآمال بالبلد الذي
خفاف الى الإفساد في كل مطلب
يباهون بالأيذاء حتى كأنما
عجبت لشمس أشرقت في سمائمهم
ولا توهموني أن حولي ما ينسى
تصبح في رجس ونسي على رجس
وفيها تجلى مصرع الفكر والحس
ضحيا المنى أضحوكة الحظ والبؤس ؟
يصول به من صال بالشر والدم ؟
يقال على الاحسان ، حرب على النفس
يزرون في الهيجاء عنرة العبسى !
وقد خلقوا حرباً على النور والشمس !

فلسفة الحب عند العرب

كيف اهتم حكاؤهم بالكتابة فيه وتحليل مذاهبه

بقلم الأستاذ طاهر الطناسي

قبل أن اطرق هذا البحث كنت قد قرأت شيئاً غير يسير من أخبار المحبين ومصارع الماشقين ومحن الظرفاء والواهين ، الذين امتحنوا بالحب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي عهد ازدهار الحضارة العربية في بغداد والاندلس وفي غيره من المهود الاخرى التي اشتهر فيها أمر الحب والمحبين ، وكانت لهم سير وأخبار يروونها الرواة ويسطرها الادباء كذخيرة أدبية يسجلونها للأجيال القادمة ، ويضنون عليها من الضياع والنسيان

وما كان ليدور بذهني أن فلاسفة العرب — على سعة باعهم — سيهتمون بالحب والبحث فيه بحثاً فلسفياً ، ويأتون في ذلك بما لم يأت به فلاسفة اليونان الذين تناولوه بالبحث قبلهم ، خصوصاً وقد رأيت ان كثيراً من رواة الآداب العربية لم يهتموا إلا بجمع سير المحبين ، جمعاً ليس فيه شيء من الفلسفة او البحث العلمي الذي يشترك فيه العقل والتفكير . وملاًوا من ذلك كتباً ضخمة ، وتفرق جانب منه في مؤلفات الادباء ودواوين الشعراء . حتى اصبح للحب من الادب العربي الحظ الاوفر . واصبحنا نرى بين أيدينا من آداب الماشقين ومن نسج على منوالهم بالتقليد ما يكاد يربو على النصف وما كنت لا أتجنى على الادب العربي لوفرة ما فيه من « أدب الحب » وأنا أعلم ان هذا النوع موجود بكثرة أيضاً في سائر اللغات ، وأن الحب قديم في البشر ، وأنه موجود في فطرة الانسان منذ وجد الانسان . بل هو موجود في فطرة الحيوان . وربما يمكننا أن نقول انه موجود في فطرة النباتات وسائر الموجودات على ما ذهب اليه « ابن سينا » — وليس هنا مقامه — فهو في الحقيقة السبب الاقوى في وجود الكائنات على اختلافها من حيوان ونبات وجماد

فليس عجيباً إذن ان يستوعب « ادب الحب » جانباً وافراً من الادب العربي . وأن يحرص الرواة على جمعه وتسجيله ، ولا سيما أنه حوى من جمال الفن ما لا يوجد في كثير من الآثار الادبية الاخرى ، وإنما العجيب أن يخلو معظم هذه الكتب الضخمة من البحث في ماهية الحب وتعليل اسبابه ، وهل هو اضطراري او اختياري؟ وهل هو داء حقا كما يزعم المحبون؟ وكيف يجب الانسان . وكيف تؤثر الصورة الجميلة في نفسه ، فتقع من قلبه موقعا لا يستطيع الخلاص منه؟ إلى

غير ذلك من البحوث الفلسفية والنفسية التي أعتقد أنها لو عُنيت بها معاهد التعليم لكان لتدريس هذا الجانب من الأدب فائدة لا يحنيها الطلاب والمتأدبون من مطامعة سير العاشقين واستظهار اشعارهم ولقد كدت أظلم أدباء العرب وفلاسفتهم كخيري ممن يظلمونهم ويحكمون عليهم حكماً فظيماً بلا روية ولا تفكير . وكنت قد اغترحت بالاطلاع على تاريخ الفيلسوف الأندلسي « أبي محمد علي بن حزم » المتوفى في القرن الخامس الهجري ورغبت كل الرغبة في تصفح مؤلفاته لعلمي بما بلغه هذا الفيلسوف من نضج العقل وسداد الرأي وصحة التفكير ، فضلاً عن سعة اطلاعه وأدبه الوافر الذي يتسم به في مؤلفاته . وقد علمت فيما قرأت له أنه قد تورط في الحب وأصيب بدائه وأنشأ في ذلك شعراً كثيراً أودعه كتاباً سماه « طوق الحامة » لم يذكره إلا صاحب « نفح الطيب » إذ قال :

« قال ابن حزم في « طوق الحامة » أنه مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب « الاستيعاب » بسكة الخطابين بمدينة اشبيلية فلقيهما شاب حسن الوجه . فقال أبو محمد : هذه صورة حسنة . فقال له أبو عمر : لم تر إلا الوجه ، فلعن ما سترته الثياب ليس كذلك . فقال ابن حزم ارتجالاً :

وذى عدل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدرك كيف الجسم انت عليل
فقلت له اسرفت في اللوم فأنشد فعسدي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهري وانتي على ما أرى حتى يقوم دليل

وقد كاد هذا الكتاب يضيع لولا أن الدكتور « د . ك . بيتروف » الأستاذ بالجامعة الإمبراطورية في بطرسبرغ قام بنشره سنة ١٩١٤ ووضع له مقدمة طويلة باللغة الفرنسية . وأتيح لي أن أطلع على نسخة من هذا الكتاب الذي طبعه الدكتور « بيتروف » في مطبعة بريل بمدينة ليدن فرأيت شيئاً جديداً في التأليف عن الحب وأخبار المحبين ، وشاهدت فيه كثيراً مما كنت أصبو إليه من البحث في فلسفة الحب ، وأبصرت فيه عدة ميزات لم أجدها في غيره ، أهمها أنه اعتمد فيما ذكره على مشاهدته وحدثه به الثقات من أهل زمانه . ولقد ذكر في مقدمته أنه ألف هذا الكتاب اجابة لمن طلب منه أن يضع رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله ، على سبيل الحقيقة بلا مغالاة ولا إيراد للخرافات . وقد استشهد ابن حزم في جميع أبواب الكتاب بشعره هو دون غيره . فلم يورد لأحد من المحبين شعراً في هذا الكتاب وإن كان قد أورد أخبارهم . وهذا يرجع عندنا أن ابن حزم قد وضع هذا الكتاب ليكون ديواناً لاشعاره الغرامية . ولكنه أراد أن يضيف إلى ذلك فائدة لا توجد في دواوين المحبين فبحث فيه عن ماهية الحب وأسبابه وتكلم عن الحب في النوم وعن الحب بنظرة واحدة وعن المراسلة والسفر والوصل والهجر والغيرة وأنواع العذاب والرقباء والواشين ، إلى غير ذلك مما انقسم فيه البحث إلى ثلاثين باباً

هل كتب في فلسفة الحب غير ابن حزم مع علماء العرب ؟

يقول ابن حزم في مقدمته مخاطباً من طلب منه وضع رسالة في هذا الموضوع أو من انتحله ليسند إليه الخطاب ويدعى أنه طلب منه وضع الرسالة : « ودعى من أخبار الأعراب المتقدمين فسييلهم غير سبيلنا . وقد كثرت الأخبار عنهم . وما مذهبي أن انضى مطية سواى ولا أتجلى بجلى مستعار » ويؤخذ من ذلك ان ابن حزم قد اختط في تأليف هذا الكتاب خطة ليست لغيره . ولم يسبق لأحد من فلاسفة العرب وأدبائهم أن يخطها قبله ، لانه لا يريد — كما يقول — أن ينضى مطية سواه ، ولا أن يتجلى بجلى لا يملكه . وجدير بابن حزم وبمكانته من العلم والادب والفلسفة أن يسلك سبيلا لم يسلكه أحد قبله ، وأن يكون غيره من بعده عالة عليه ، لا أن يكون هو عالة على غيره وقد يكون ابن حزم صادقا إذا أراد ان فلاسفة العرب لم يسبقوه الى تلك الطريقة التى انتهجها في الكتابة عن الحب . أما إذا أراد ان احداً منهم لم يسبقه الى البحث في فلسفة الحب أو الكتابة في ماهيته وتحديد كنهه ، فليس ذلك من الحقيقة فى شيء . فالجأ حظ في القرن الثالث الهجرى تكلم عن الحب وعرفه تعريفا يكاد يقرب من الفلسفة وان غلبت عليه الصبغة اللغوية . والرئيس أبو على ابن سينا الف رسالة فلسفية فى « العشق » وقد كان معاصراً لابن حزم ومات قبله بنحو ثمان وعشرين سنة . وكتب غيرها من علماء اللغة فى معنى الحب والعشق وأهيام وما إليها من الالفاظ التى تتضمن معنى الحب

على اننا جأ فى الانصاف يجب ان نقرر أن كل ما قيل فى معنى الحب قبل ابن حزم عدا رسالة « العشق » لابن سينا ، كان يتناول الناحية الادبية او الناحية اللغوية المحضة او العرض دون الجوهر والصفة دون الماهية . ومن ذلك ما روى عن المأمون انه سأل يحيى بن اكرم عن العشق ما هو فقال : « هو سوانح تسنح للمرء فيهم بها قلبه وتتأثر به نفسه » ، وكان ثمامة بن اشرس حاضراً فقال : « اسكت يا يحيى انما عليك ان تجيب فى مسألة طلاق او محرم صاد ظيما او قتل نملة . فاما هذه فسائلنا نحن » فقال له المأمون : « قل يا ثمامة » فقال : « العشق جليس ممتع واليف مؤنس . وصاحب ملك . مسالكة لطيفة . ومذاهبه غامضة . واحكامه جائزة . ملك الابدان وارواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، وأعطى عنان طاعتها وقياد تصرفها . توارى عن الابصار مدخله . ومعنى فى القلوب مسلكه » فقال المأمون : « احسنت والله يا ثمامة » وامر له بالف دينار

فانت ترى ان ثمامة — على الرغم من استحسان المأمون لما قاله — لم يأت بشيء من معنى الحب وتحديد ماهيته . ولو انصف المأمون لأعطى الف دينار ليحيى بن اكرم لانه فى الحقيقة حام حول معنى الحب دون ثمامة الذى لم يتعرض لشيء غير بعض أوصافه وأعراضه

أما ما سوى ذلك مما كتبه ابن حزم وابن سينا ومن نحا نحوه من علماء العرب بعدهم ، فقد تناول

أصحابه طريقة اليونان في البحث عن ماهية الحب ونواحيه الأخرى . ولكنهم توسعوا فيه توسعاً كبيراً ووصلوا بفصوله وأبوابه إلى الثلاثين أو ما يقرب من الثلاثين ، وساعدتهم في ذلك كثرة ما خلفه العرب من أخبار المحبين والآثار الأدبية التي تتعلق بالحب

وأشهر من ألف في هذا الموضوع بعد ابن حزم وابن سينا : ابن قيم الجوزية صاحب كتاب « روضة المحبين » وأبو محمد بن السراج صاحب « مصارع العشاق » والتميمي مؤلف « امتزاج الأرواح » والقاضي ابن سليمان النوقاتي مؤلف كتاب « محنة الظرفاء » وشهاب الدين ابن أبي سحجلة مؤلف « ديوان الصبا » . وهؤلاء عدا من ألفوا في الحب الصوفي وفلسفته كابن العربي وابن الفارض وغيرهما

كلمة عن « رسالة العشاق » و « روضة المحبين »

اسلفنا الكلام بالأجمال عن كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم . وهو أهم كتاب وضع بالعربية في فلسفة الحب . ولا بد لنا أن نقول كلمة عن « رسالة العشاق » لابن سينا وكتاب « روضة المحبين » لابن قيم الجوزية المتوفى بعد ابن سينا وابن حزم بنحو ثلاثة قرون . فهما على التحقيق أحسن كتب وضعت في هذا الموضوع بعد كتاب « طوق الحمامة »

و « رسالة العشاق » رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز عشر ورقات تكلم فيها ابن سينا عن العشق بالمعنى العام وهو الجاذبية والانجذاب . وذكر أنه يسرى في جميع الموجودات حتى الجواهر البسيطة غير الحية . ويرهن على أنه موجود في الفلكيات والعنصرينات والمواليد الثلاث . وهي (المعدنيات والنباتات والحيوانات) . وتكلم عن عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان . ثم تكلم عن الحب الإلهي في بحوث فلسفية عميقة

أما كتاب « روضة المحبين » فهو يقرب من كتاب « طوق الحمامة » وقد نهج نهجه في بعض الأبواب واقتبس منه وذكره في غير موضع واحد . إلا أنه أوسع مادة . وقد انتحى الناحية الدينية في كثير من المواضع . واستشهد بعدة آيات واحاديث . وانفرد ببعض البحوث الفلسفية كبخته عن الحب (هل هو اضطراري أو اختياري ؟) وبخه عن لذة الحب وانها تابعة له في الكمال والنقصان كما انفرد بالبحث اللغوي في أسماء المحبة (وهي خمسون اسماً) ونسبة بعض هذه الأسماء إلى بعض . « وإن العالم العلوي والسفلي إنما وجد بالمحبة » . وفي هذا البحث يقرب من ابن سينا . بل هو ينقل كلام ابن سينا في رسالته مع شيء من الشرح والإيضاح ويراد بعض الآيات والاحاديث

ماهية الحب

اختلف فلاسفة العرب وعلمائهم في تعريف الحب وبيان ماهيته بالمعنى الروحي لا الحيواني . وقبلهم اختلف علماء اليونان واضطربوا في تحديده . وقد غمض على بعضهم حتى عرفوه بأنه مرض وسواسي يشبه المايخوليا ، يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فسكره على استحسان بعض الصور

والتماثيل . وقال بعض الفلاسفة : « المشق طمع يتولد في القلب ويتجراؤه وينمو ثم يتربى ويجمع اليه مواد من الحرص ، وكلما قوى ازداد صاحبه في الاهتياج واللبجاج والتماذى في الطمع والحرص على الطلب ، حتى يؤديه الى التهم والقلق ، ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها اليها . ومن غلبته السوداء يحصل له فساد الفكر ، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمنى ما لا يتم ، حتى يؤدي الى الجنون . وحينئذ ربما قتل العاشق نفسه أو ربما مات غما ، وربما نظر الى معشوقه فمات فرحاً أو شق شقة فتخنى روحه أو تنفس الصعداء ففاضت نفسه . وتراه اذا ذكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه »

وعرفه ارسطو وأتباعه بانه اتفاق أخلاق وتشاكل صفات وشوق كل نفس الى مشاكلها ومجانسها في الحلقة القديمة قبل هبوطها الى الأجساد

وذهب ابن حزم الى أنه استحسان روحانى وامتزاج نفسانى بين اجزاء النفوس فى أصل عنصرها الرفيع . وليست علته حسن الصورة الجسدية ، وإلا لوجب ألا يحب إلا جميل الصورة ، مع أننا نجد كثيرين يؤثرون قبيح الصورة ولا يجدون محيداً لقلوبهم عن حبه ، كما أن التجانس فى أصل الطباع وائتلاف الأرواح هما داعية الحب . ثم يقول ابن حزم ما خلاصته : فان قال قائل لو كان هذا كذلك (أى امتزاج نفسانى وائتلاف روحانى) لكانت المحبة بين المحب والمحبوب مستوية إذ الجزآن مشتركان فى الاتصال ! فالجواب عن ذلك أن نقول هذه لعمري معارضة صحيحة ولكن نفس الذى لا يحب من يحبه مكنتفة الجهات ببعض الشواغل الجسمانية والطبائع الارضية ، فلو تخلصت من هذه الشواغل لاستوى المحب والمحبوب فى المحبة . وكلما كثر التشابه زادت المودة وتأكدت ، فانظر هذا تراه عياناً وقول رسول الله (ص) يؤكده : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وقول أحد الصالحين : « أرواح المؤمنين تعارف » ولهذا ما اغتم حين وصف له رجل من أهل النقصان كان يحبه ، فقال : « ما أحبنى إلا وقد وافقته فى بعض اخلاقه »

وروى عن افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظلماً . فلم يزل يحتج عن نفسه حتى اظهر براءته وعلم الملك انه له ظالم . فقال له وزيره : « أيها الملك قد استبان لك ان افلاطون برىء فمالك وله ؟ » فقال الملك : « لعمري مالى اليه سبيل غير انى أجد لنفسي استقلالاً لا أدرى ماهو » فأدى الوزير ذلك الى افلاطون . قال افلاطون : « فاحتجت أن أفتش فى نفسى واخلاقى عن شئ اقابل به نفسه واخلاقه مما يشبهها فنظرت فى اخلاقه فاذا هو محب للعدل كاره للظلم فبرزت هذا الطبع فى فها هو إلا أن حركت هذه الموافقة نفسه ، فأمر باطلاقى . وقال لوزيره : « قد انحل كل ما أجد فى نفسى له » . وذلك يؤيد أن التجانس فى أصل الطباع يؤدي الى المحبة . والى هنا نختتم هذا الفصل الذى يعطى القارىء فكرة عامة عن هذا الموضوع . وخير لمن يريد التوسع فيه ان يرجع الى مصادرہ التى وصفناها . فسيجد ما يقنعه بأن اسلافنا لم يألوا جهداً فى تناول كل مفيد طريف

روح فياض^(١)

بقلم الأستاذ امين تقي الدين

... يا روح «فياض» أطلّي ساعةً
فيم الإقامة في الجسوم كأنها
لما نأخذت من الضياء لك هيكلًا
صاحبتة خمسين ملء إهابه
وطوالك في صدرٍ نشرت به المنى
تثبين من عينيه سحرًا رائعًا
وملكت شيمة قلبه فتدافعت
وجريت فوق لسانه فيبانه
وأويت مسمعه فكننت سياجه
وعهدته يزهى ويمرح عابثًا
يهب الجزيل ويستنيم إلى المنى
وعلى غرارك قد طبعت شعوره
ما كنت إلا شمسه ياليتنه

أستوح منك لساعة موضوعا
صور على لوح تمر سريعًا
أنى تركت الهيكل المخلوعا
فزلت رجبًا وارتعيت صريعًا
شقى المعاني غاية ونزوعا
في كل جارحة جرى ينبوعا
فيه المروءة مبدأ وصنيعا
أى تنث وشاردات توعى
من كل نافرة تسوء سمعيا
أو يستكن تواضعًا وقنوعا
ويعف ذا عوز ويخشى الجوعا
نخلقت منه الشاعر المطبوعا
جارى بآيته النبي يسوعا

«فياض» هذى نفثة لو لم ترد
إن الاديب إذا وقفت بقبره
إنالفي بلد أفاد نفوسنا
فإذا زهون حرم من متعدد شمعة
لم يبق لى إلا البيان فما كه
وكفى البيان لدى الاديب شفيعا

شعرا لسالت أدمعًا ونجيعا
أمطرته مما بكيت ربيعًا
أدبا ليوقدهن فيه شموعا
وإذا انطفأت فقد نسيت جميعا

(١) من قصيدة في تأبين الاديب الشاعر المرحوم الياس فياض

أحزان الانسانية

في مستشفى المجازيب بالعباسية

بقلم الاستاذ احمد الصاوي محمد

أراها من أحزان الانسانية وأذهب اليها كأنى ذاهب الى صلاة تقام على روح صديق راحل حتى اذا جئتها لم أجد دمة حرة ، ولم أجد الا ابتسامة على الشفاه ، وضحكة تملأ الأفواه ! عجب ! .. يرى شكسبير أن الذى يسرق منه شيء لم يشعر بفقدائه فكأنه لم يسرق منه شيء البتة .. فهل هؤلاء الذين سلبت منهم عقولهم هكذا ؟ لا ريب ! .. وإلا كيف هم فى هذا الجدل كله ؟ ومع ذلك فإن بعضهم ثائر ! وإن بعضهم موتور ! .. وإن بعضهم يطلب الخروج ويلج فيه ويكتب له المرائض ! .. ويطلبه البعض أحياناً فى رفق وحياء . ويطلبه الآخرون فى خشونة ووقاحة وسباب . فهى حالات تتعاقب

وعندما جئت الدار وقت الظهيرة تفضل مديرها الدكتور محمد فؤاد بك بمصاحبتى ساعتين طويلتين .. وأحسبنا دخلنا وخرجنا من مائة باب ، جميعها تفتح لنا ثم تغلق من ورائنا . وهذه الدار مناطق . ولكل منطقة رجالها أو نساؤها من الزلاء

سبحان الله ! لم أشعر بأن هؤلاء مرضى كغيرهم سواء بسواء . لأن المريض برجله أو ضرره أو ظهره ليس كمسلوب العقل والرشاد . ليس كمحروم النور الذى نرى به الأشياء ونفهمها وتمجد منها ما يستحق التمجيد ونحذر ما فيه ضررنا وتجنب الوقوع فى الزلل ونحسب حساب الحاضر والمستقبل معاً

إن هؤلاء المرضى أناس مثلنا ومع ذلك لم يعودوا منا . لأن لهم دولتهم القائمة برأسها التى لم تعد أرضية ولا سماوية . هى شيء بين بين . ألم تقل لنا تلك السيدة التى تمشط شعرها فى الشمس وهى تتكلم الفرنسية والانكليزية : « أفلا تسمعون تلك الاصوات المنبعثة من هذه السموات ؟ » فقلنا لها : « أجل ! .. » إى وربى ! .. ليت هذه السموات تسمع أصواتنا نحن المنبعثة من أعماق قلوبنا بالدعاء لك أيتها السيدة المنكودة بالشفاء ! ..

وهى تعود فتسألنى بالانكليزية : « أين الناس الأشرار ؟ » فقلت لها : « الله يصرفهم ! .. » ودخلنا البهو الخاص بالنساء . وهو حسن الأثاث . وفيه بيانو وفيه الصحف اليومية

والمصورة . فاستقبلتنا سيدة من نزيلات الدار منذ عشرين عاماً . . تطوى الغسيل وترتبه بشكل لا يدع سيلاً الى الشك في عقلها . وكان في يدي ورق أدون به بعض الملحوظات . فبادرتنا بقولها : « أهلاً بكم فقد أنتم تكسبون محضر الخروج . واخوتي واخواتي وابن خالتي سيأتون اليوم لهذا الغرض ويأخذونني »

ونحن نغادرها . نراها اليوم للمرة الأولى والأخيرة . لن نأخذها معنا ولن تخرج على يدينا وليس أهلها آتين اليوم لهذا الغرض ولا غداً . وسيطول بقاؤها هنا بقدر تعلقها بالحياة وهذه المرأة العربية . التي كانت يوماً ما مليحة . وربما قيل في حبها شعر ونثر . ها هي الآن بعيدة بعداً شاسعاً عن عالم الحب والشعر والاماني . وهي مع ذلك قريرة العين راضية بما قسم الله لها : « البركة فيكم . . بزيادة . . ما دامت طرايبكم في الدنيا . . احنا مبسوطين » والله ياخاله ليست بالطرايب تقدر الرجال . . . ولكن الحمد لله على حسن ظنك . . .

تلك المرأة العربية راضية بما كتب لها . وهذه الجارية ساخطة تنذر بالويل والثبور . وكانت تغسل . . . والعمل كالغسيل أو الخياطة أو ترتيب الفراش من العلاجات النفسانية المفيدة في هذه الحالات . . . فما رأينا هذه « الدادة » وسمعت ملحوظة من الدكتور فؤاد بك عن الغسيل حتى ثارت : « معلش . . . انا الجارية الزبونة أم ديل . . . أوريكم يا باشاوات مصر »

ولما كنا لحسن الحظ لسنا من باشوات مصر فقد كان التهديد موجهاً لسوانا . وها نحن قد أبلغنا انذارها للذين يحملون هذه الرتبة الرفيعة . . . ولا أحسب أن فيهم من تحدته نفسه بزيارة هذا المستشفى . . فعند ما يصير الانسان باشا أحسبه ينسى أحزان الانسانية

وهذه تزغرد ، وأخرى تعدد . النساء هن هن في كل مكان . . . أصوات مرتفعة وانفعال شديد . . . بسبب وبلا سبب . . . ولا مؤاخذه

وأنت يا جدة . . . من أين أنت ؟ أحسبك شركسية . فما أشد بياض بشرتك حتى كأنها اللبن . . سم بقيت هنا ؟ يا الله ! ٢٧ عاماً ؟ . . وارحمته لك . . سلخت ربع قرن وأنت تحزنين الربع الثاني ؟ . في هذه الدار ؟ . في هذه القاعة ؟ . لا تحيلين عنها الا إليها ؟ . الله معك يا جدة . . . انني أفهم شكواك : « الى جناب المدير . . اطلب الانتقال الى القسم الثاني لانه انظف وغذاؤه أحسن . . ولا بأس بأن تدفع فرق السعر شيكاً على البنك من مالي الخاص ، وهو كذلك . . . لقد طيب خاطرك لأنه أطيب الرجال . . .

هذا بقية غير النساء . ونحن في ساعة الغداء . وهن يأكلن بسكون أشد من سكون تلاميذ رياض الأطفال . . ما أشد اختلاف ملابسهن وهياتهن . . ترى . . هل يتذوقن هذا الطعام أو هل يجدن له طعماً ؟ كم من مرة أكلن مع أولادهن وأزواجهن وأحبابهن ؟ أما اليوم فيأكلن وحدهن أو يأكلن مع الف شخص يلعب برؤوسهن ويأخذ اللقمة من أفواههن . . من

يدري... انهن اجتمعن من أقصى البلاد الى أقصاها ليتناولن هذا المزيج من الطيخ واللحم والأرز في صحن واحد أو صحنين من الألومنيوم؟ يجلسن الى هذه الطاولة من الخشب ويقمن عنها دون أن تكون لهن ارادة واضحة أو رغبة ظاهرة. رباه من ظلم الأيام... ان تلك الابقار التي نراها تعود في المساء من المراعي والحقول لتدخل الدار فتجد علفها بانتظارها، كانت تخور من أول الخى بالتحية ومظاهر الابتهاج.. أما هنا فدعى ميكانيكية أو أحجار شطرنج تنقل كما يقضى النظام ويأمر...

وهناك.. أصوات... «يا الله يا فاطمة.. تعالى نشوف عريسك...»
أين هو عريس فاطمة؟؟ وكيف هو؟؟ من سكان هذه الدار أو من قرية فاطمة أو منا نحن؟؟

لعلهم سيزفون فاطمة قبل غروب الشمس... فقد كانت أترابها في عجلة يرددن النداء ويحثن الخطى

وهؤلاء اللواتي يردن الدخول الى حظيرتهن فيفتح لهن فؤادك بمفتاحه: «تفتح لنا يا جناب المدير؟... وهل نحن قدر هذا المقام؟ ربنا يخليك... وتعمل طيب أكثر لو سمحت لنا بالخروج...»

كل فرد هنا في حالة التنى والابتهاج... ولكن أهذا وقف على هذه الدار؟؟ السنا نحن أكثر أماناً وأوسع مطامع من هؤلاء الذين كل مطعمهم الخروج والانطلاق من أسر هذا المرض العصبي الفظيع؟ اليسوا هم أحق منا بتحقيق أمانهم ليتحرروا من عبودية هذا السجن الذى ضربه الله عليهم فعزلهم عن سائر البشر وجعلهم لا من الانسان ولا من الحيوان؟؟
أجل... ليتهم ياخذون من امانينا لمن هم أولى الناس باجابة الدعاء... أما نحن فماذا يجرى علينا لو وقفت الاستجابة لنا مؤقناً؟؟ يطول مرضنا بضعة اسابيع او تعطل درجتنا بضعة شهور، أو لا ترج ورقة اليا نصيب قبل العيد، أو لا يتم بناء بيتنا هذا العام أو يرزقنا الله بنت بدل غلام؟؟ نعم... ماذا يضرنا من ذلك لو عرفنا أن جانباً من عذاب الانسانية سيرفع عن اخوان لنا في هذه الانسانية عانوا كثيراً لغير ذنب جنوه؟؟



قصيدة أبي الهول

المستأثر محمد الهمداني

جمع البأس في همامة نفس جسم ليث يقل هامة أنسى
جائتم في مكانه غمير جاث ليس ينجو سوى الذليل الاخس
ملك في العراء من غير تاج مستفيض الجلال من غير لبس
تتهاوى العروش وهو مكين فوق عرش موطد فوق أس
مرت الاغصان الخوالي عليه وتمر العصور وهو ابن أمس
ندمت كفها الحوادث منه واثنت عنه بعد عجز وبأس
صنع قومي وهل بفاخر الا وارث المجد أو عصامي نفس ؟
أخرجته الكف آية صنع يوم لا صنع غير صخر وفأس
تركته على الخلود دليلاً الذي يطلب الدليل بلبس
قام عند الاهرام حارس مجد ان يطوف البلى عليه بطمس
رافع الرأس تحت شبه من راسط الكف في برائن طلس
شاخص لازمان منه بعين لم تذق في حياتها طعم نعس
قاممة تقصر النواظر عنها ودعام يزرى برضوى وجلس
أمم الارض قد توالى عليه وتولت من كل دين وجنس
أقلت في مدارع البغي صجاً ثم دالت والبغي مغرب شمس
طاحت تستقل بالنيل مأكلاً فاحتواها من دونه بطن رمس
نرى خلفه مصارع قوم هبطوا مصر في مواكب عرس
يا محط الرجال كم من وفود حملها اليك أحداج عبس
من بنى العرب والبنود شكول أو بنى الفرس تحت ظل الدرفس
أو بنى الترك في جنود سلم أو رجالات بونبرت القرنس
كل وفد علمت منه مناه في تناسج أو في اشارات خرس
طال منهم ليدبك اطراق ساء ساج الفكر في خيال وهجس
ساورتهم منى قاسمهم منهم بابتسام عليه صيغة ورس

يا وفود الآفاق ماذا لديكم
فاهبطوا مصر مكرمين ضيوفا
واطلبوا الخير وافراً بأباد
يا أبا الهول أنت جلس الليالى
قل لذي القوة الغشوم رويداً
سيرد الزمان ما كان أعطى
رب عار في يومه عن ثياب
يا خطيب الزمان لم تأل جهداً
قت في الناس قبل بعث نبي
انت وحى السلام تخطب في الناس
شهد الله ليس في الناس رأس
ضاع فيهم كتاب كل نبي
فرقتهم مطاعم وأمان
لو تطبق الكلام كنت خطيباً
مبلغ الظن ان صمتك يأس
أرسل النفس في خبايا أبي الهول
إيه يا نفس ههنا السر خاف
وأبينه فالحديث رجوم
قد أرى فيه والقواد دليلي
صور للعصور مختلفات
صورت في فؤاده مقلته
مثلما صور الرسوم طباقاً
فترى فيه للحوادث مرآة
يا أبا الهول والمسمى عظيم
أنت للظالمين طالع نحس
ما حسبنا الاهرام غير عرين
اودع الله بين جنيك سرّاً
من أمانى ذات دلس وولس
لا غزاة على كتائب حمس
واطلبوا الناس بالولاء الأمس
منذ كانت وما سواك مجلس
كل ما في يديك منحة خلّس
منح الدهر رهن رد وحبس
كان بالامس رافلا في الدمقس
ان تصون الزمان من كل دلس
يعظ الناس في أذان ونقس
يصلح الناس من خبال ومس
وهدايات كل شيخ وقس
في صفات من الطبائع شكس
فوق سحبان في البيان وقس
بعدهما بح كل صوت وجرس
ل تذكرك والحوادث تنسى
فتقرية بالبنان الخمس
عنه والناس بين ظن وحدث
شبه دنيا تعيد فيه وترسى
مائلات على ترائب ملس
ما رآه في كل جيل وحرص
فوق ألواح الزجاج الشمسى
تريك العصور معنى لحس
لا تشاب الاسماء فيك بلبس
وعلى مصر طالع غير نحس
قت عن أهله بحرس وعس
قد عرفناه باختبار ومرس

كل دار أقمت في جانبها أهد الدهر لا تحول بدرس
صورت فيك لابن مصر معان حار فيها الوري على طول درس
علم قائم على ذروة المجد وطود على المفاخر راس
شامخ الرأس غير افطس أنف عن رهوس شوامخ غير فطس
جمع الحكمتين بأساً وعلماً في حي اروعين جسم ورأس
صابر للزمان طرداً وعكساً لم يحل فيه بين طرد وعكس
مستلينا على كرامة نفس مستحيلا مع الخطوب ليس
سلس الخلق في المكارم ليكن ذو صفات على المكاره شمس
يقظ العين حين ظنوا فقالوا هو في النوم غاطس أي غطس
يا تراث الآباء قد شد ماها ج حديث الآباء منك بهمس
فيك من سرهم أشعة نور كل جيل يعود منها بقيس
فيك بعض العزام إن ذكر المجد قديما وفيك بعض الناسي
لا تلم أمة أكف العوادي جردتها من كل حول وبأس
لم يقصر بنو الكرام ولكن لليالي أدوار نعيم وثوس
كذب الزاعمون انا أناس الفوا الغبن واستناموا لو كس
وارتضوا خطة الهوان وساروا من وراء الشعوب ذبلا لرأس
لا وعى مسمع الزمان حديثاً مثل هذا ولا حوى صدر طرس
غضب الحق ان يقال بنو مصر سوام تباع بيعة بخس
نحن نسل الملوك من آل فرعون ونسل الاشراف من عبد شمس
فاسألوا المالكين من آل مصر مثل مينا وخفرع وكيوبس
كيف مدوا على الوري ظل حكم مستمد من فوق عرش وكرسي
نبي الناس يا أبا الهول انا امة كالخديد صلب المجلس
لم يعبنا انا بلتنا شعوب وبلونا الشعوب من كل جنس
كل من ساءنا أذقناه سوءاً بيد الله كل كائن بكائن
فاسألوا الروم ما دها الروم فينا واسألوا الفرس عن مصاب الفرس
امم تلك ذات ناب وضرس قد مضغنا ما بين ناب وضرس
فنيث كلها ونحن بقينا من حنى الله في حظيرة قدس

عبد الرحمن الناصر

في يوم سمورة

بقلم الاستاذ حبيب جاماتي

أخذ كل من القواد والأمراء مكانه حول عبد الرحمن الناصر وقد استوى في مجلسه في صدر القاعة ، وتناولت الأعناق نحوه ، وشخصت الأبصار إليه ، وكل من الحاضرين يسائل نفسه : « أي حادث جليل استدعى هذا الاجتماع ؟ »

لقى عبد الرحمن نظرة على إبطاله ، وعندما أيقن أنهم جميعاً قد لبوا دعوته ، وأسرعوا إلى مجلسه ، وجه إليهم الخطاب قائلاً :

— لقد دعوتكم يا رفاقي في الجهاد وأعوانى في تثبيت دعائم هذا الملك ، لكي أفضى إليكم بما عولت عليه وعزمت على القيام به نحو حصن من حصون الأعداء المنيع ، وقلعة من قلاعهم المتمردة ، وأظنكم قد أدركتم أي حصن أعنى وأية قلعة أقصد ..

وسكت لحظة . فتبادل الأمراء والقواد النظرات . ثم القى أحدهم ، في وسط ذلك السكون هذه الكلمة : « سمورة ! »

فابتسم عبد الرحمن الناصر ، ورفع يده إلى خيته ، وجعل يعبث بها بإصبعه قائلاً :

— لقد أصبت باهتمام . إياها أعنى ! فقد استولى العرب على الأندلس من أدناه إلى أقصاه . وخضع لهم حكام المدن وغطارفة الجبال . وضربت الأناوة على المقاطعات النائية . والبلاد تتمتع الآن بما تصبو إليه من راحة وهدوء وعزة واطمئنان . لكن شيئاً واحداً ينقص على الآن عيشي ويملاً ليالي بالأحلام المزعجة والأفكار المقلقة . فإن « سمورة » مدينة الجلالة ومعقلهم الحصين لا تزال متمردة علينا ، رافعة لواء العصيان قائمة على جبلها الأشم ، تتحدى جيوشنا الجرارة ، وتردها عن أسوارها المنيعه خائبة خاسرة . فهل يجمل بعبد الرحمن الناصر أن يغض الطرف عما أصاب جيوش العرب من فشل واندحار ، أمام جبل سمورة ، وأن تردد الأجيال المقبلة أن ملوك الأندلس قد عجزوا عن استرداد هذه المدينة ، بعد أن طردهم منها الأسبان واعتصموا فيها مكابرين مفاخرين ؟ يا أمراء العرب وقواد الجيش لقد دعوتكم للاسترشاد برأيكم . فاقولكم في إعادة الكرة ، ومهاجمة سمورة ، واقتحام أسوارها ، ودخولها عنوة ، أيأ كانت خسائرننا وأيأ كانت قوة المدافعين عنها ؟

تشاور الحاضرون فيما بينهم ، واستحسنوا رأى عبد الرحمن ، فنهض واحد منهم وهو أكبر الجميع سناً وقال :

— ان رأينا هو رأيك يا أمير المؤمنين فان شوكة الجلالة تزداد يوماً عن يوم . وينبغي لنا أن نقضى عليهم وأن نتدارك الخطر ونضربهم الضربة القاضية ، قبل أن يستفحل أمرهم ويتعاضم شرهم . فاذا شئت ارادة أمير المؤمنين سرنا غداً بمائة الف من رجالنا البواسل لفتح سمورة ونصب أعلامنا فيها !

فقطع وجه عبد الرحمن الناصر بشراً وقال :

— لا عدمتكم أنصاراً . اعدوا اذن للملحمة القادمة عدتها ، وموعدنا في مثل هذا اليوم من

الاسبوع المقبل !

بعد أن تدفقت جيوش العرب على الاندلس ودكت حصونها ، واجتاحت مدنها ، ومزقت كتائب المدافعين عنها ، ظل ثلاثون من صناديد الحرب ، معتمسين في « أعلى الجبال » في مكان اطلقوا عليه اسم « الصخرة » يقناتون من العسل وجذور الاشجار ، ويأبون الاستسلام للغزاة الفاتحين . . . قابل العرب عصيانهم بالاحتقار . فركوهم وشأنهم ، وما كانوا ليظنوا في ذلك الوقت ان اولئك الابطال الثلاثين ، سوف تتكون منهم نواة جيش عظيم ، يعيد على العرب الكرة بعد الكرة ، ويسترجع منهم المواقع الحربية موقعاً بعد موقع !

أصبحت تلك « الصخرة » وكر القومية الاسبانية ، وبركان الوطنية المتأجج ، وخرج أولئك الثلاثون من مكهم فانضمت اليهم فلول الجلالة المبعثرة ، وجعلوا يهاجمون الحصون والقلاع والمدن ، وتمكنوا في سنة ١٣١ هجرية الموافقة لسنة ٧٤٨ للميلاد ، بقيادة ملكهم « الاذفونش » الكاثوليكي من استرجاع سمورة وقلعتها من العرب ، واحتفظوا بها منذ ذلك الوقت ، وعبثاً حاول العرب اخراج المعتصمين فيها ، فقد تحطمت هجماتهم على أسوارها كما تنحطم الامواج على الصخور ، وظلت المدينة الحصينة تسخر طوال تلك السنين من الجحافل المسيرة لاختضاعها . وظلت قلعتها الشاحخة رابضة فوق جبلها الشامخ . كأنها وكر من وكور النسور ، يهزأ بأسراب الزرازير !

وعندما تولى عبد الرحمن الناصر خرج عليه أعمامه ومعهم فريق من كبار الزعماء والقواد والامراء . فاضطر الخليفة الاموى إلى ترك الجلالة وشأنهم للقضاء على اعدائه في الداخل والتخلص ممن كانوا ينازعونه الملك والسلطان . فاشتد ساعد أعدائه وانضم اليهم بعض الخوارج من العرب كاسحق بن أمية وغيره ، فجعلوا يكشفون لهم عن عورات المسلمين ويساعدونهم على النيل منهم ؛ لكن عبد الرحمن الناصر تغلب على اعمامه وأنصارهم . فاستتب له الامر ، وعاهد نفسه على بسط سلطان العرب من جديد على البقاع والامصار التي أضاعها عليه انهماكه في الشؤون الداخلية

والحروب الأهلية . وأول ما فكر فيه وعزم عليه انتزاع سمورة الحصينة من الجلالقة المتمردين
وبذل قواه في هذا السبيل

استيقظ أهل سمورة مذعورين . ونهضوا خائفين على أصوات الأجراس والنواقيس وهي
تدق بالتواتر إيقاظاً للناس منذرة بالخطر القريب والويل الدائم
وانقض الحبر من فوق أبراج السكنائس والحصون على السكان انقضااض الصاعقة . وقد أُرسله
الحراس من مكائهم في جهات المدينة الأربع : « العدو ! العدو ! »

وبدت رايات العرب وأعلامهم في السهول والوديان . وقد انتشروا فيها على مسافات شاسعة .
وطلمت الشمس من وراء القمم والآكام . فسطعت تحت أشعتها السيوف والدروع والرماح . وهب
نسيم الصباح فحمل إلى المدينة مع أريج الحقول والغابات صهيل الخيول وحبلة الجنود !

وأيقن القوم أن ذلك اليوم سيكون من الأيام الدموية الهائلة وأن مستقبل مدينتهم سيطرَح
في حلبة الرهان ! فاستعدوا للمقاومة . . . واستعد العرب للهجوم . . .

وكان القواد يسرون في طليعة جيشهم ، ومن ورائهم مائة ألف من أبطال الحرب المغاوير ،
بين مختلط سيفه ، وشارع سنانه ، وقد اختارهم عبد الرحمن وأعد كتائبهم لأنه كان يعلم أن في
سمورة رجالاً أعزة النفوس عركتهم الحوادث ودربتهم الحروب ، وأنه لن ينال منهم منالاً ولن يتمكن
من إخضاعهم إلا إذا نازلهم بحيرة جنوده وصفوة قواده ، عملاً بالقول الحكيم : « لا يقل الحديد
غير الحديد ، ولا يغالب الصنديد غير الصنديد ! »

والتحم الفريقان في معركة دامت طول ذلك النهار ، بيعت فيها الأرواح رخيصة ، وسالت فيها
الدماء جداول ، وطوحت الطوايح بسمورة المنيع فدخلها العرب فاتحين منصورين !

لكنهم أهملوا الحصون كماداتهم ، وانتشروا في المدينة مهملين مكبرين ، ولم يعملوا على تأمين
أنفسهم بالاستيلاء على القلاع والآجام جميعها ، عملاً بقولهم المأثور : « كل محصور مأخوذ ! » فاعتصم
المقاتلون من الجلالقة وراء تلك الجدران المنيع ، واجتمع زعمائهم للتشاور والمداولة

وكان ساعدهم الأيمن ومرشدهم المسموع الكلمة ، في ذلك الظرف العصيب ، قائداً من أشهر
قواد العرب الخارجين على عبد الرحمن ، وهو اسحق بن أمية ، الشجاع المخنك !

رسم ذلك العربي المحارب في صفوف أعداء أمته خطة لانقاذ سمورة من الفاتحين وطرحها على
بساط البحث أمام زعماء المدينة المقهورة فافقروها جميعاً ، وعزموا على وضعها موضع التنفيذ عند
ما يرخى الليل سدوله على الأسوار . . . وفي الساعة المعينة ، انقض الجلالقة من جديد على العرب الذين
أهملوا وسائل الحيلة بعد النصر . فاخذوا على غرة منهم . ولم يقووا على صد المهاجمين ، فتراجعوا
أفواجاً أفواجاً ، مسرعين إلى الخندق المحيط بالمدينة لاجتيازها والعودة إلى السهول ، فتمكن خمسون

الفا من عبور القنطرة القائمة عليه وسقط خمسون ألفاً منهم صرعى في حومة القتال !
وأراد الجلالقة أن يعبروا الخندق وراء الهاربين ، للقضاء عليهم . فاعترضهم اسحق بن أمية -
وقد هاله ما أصيب به العرب من خسائر جسام وآخذ نفسه على ما بدر منه - صائحاً بهم :
— إياكم أن تلهقوا بهم ! فإن العرب لم يعبروا الخندق ويسرعوا الى السهل إلا لكي يقيموا
فيه كهينا لاستدراجكم ! إني أعرف منكم بماداتهم وتقاليدهم . فارجعوا الى المدينة واكتفوا بما أحرزتم
اليوم من نصر عظيم !

أدخل ذلك الانهزام الشنيع الحزن إلى قلب عبد الرحمن الناصر . وظل منذ ذلك اليوم
المشغوم يفكر في أخذ الثأر ، لأنه كان يأبى أن يسجل على نفسه العجز الذي سجله أسلافه على
أنفسهم ، وأن يوصم بما وصموا به ، وأن يطوى الصفحة المجيدة التي دونها في تاريخ العرب
والإندلس ، دون أن يغسل ذلك العار الذي لحق جيشه في سمورة ، ويمحو أثره بانتصار باهر
وفتح مبین

وكأن الاقدار شامت أن يكون عون في أخذ الثأر من أهل سمورة ذلك الرجل نفسه الذي
كان من قبل عوناً لهم على صد العرب عن أسوارهم : اسحق بن أمية !
فقد عاد ذلك القائد المغوار الى حظيرة الواجب . بعد معركة سمورة بأيام معدودة وطلب العفو
والامان ؟ وتقرّب من الخليفة الذي عرف قدره وأحله في حاشيته المحل اللائق به ، فاصبح اسحق
ابن أمية ، بين مساء وصباح ، موضع ثقة عبد الرحمن وأمينه ونجيّه
وكما رسم اسحق من قبل للجلالقة خطة الدفاع وطرد العرب من مدينتهم المحتاجة ، فانه رسم
فيما بعد ، وبالأشتراك مع مولاة عبد الرحمن الناصر ، خطة هجوم جديد للاستيلاء على المدينة ودك
أسوارها واقتحام حصونها

أدرك الخليفة أن وجوده لا بد منه في الميدان ، فعزم على قيادة جيشه بنفسه . وفي صبيحة يوم
من أيام شوال سنة ٣٢٧ هجرية الموافقة لسنة ٩٣٨ للميلاد . وصل ذلك الجيش الى السهول الممتدة
أمام سمورة . وانتشر فيها انتشار السحاب في السماء !

سار عبد الرحمن الى الجلالقة في هذه المرة بمائتي الف مقاتل من بواصل الابطال والفرسان ،
ولم يأبه لتشاؤم المنجمين الذين قالوا له ان جيشه سينهزم لأنه بلغ سمورة بعد كسوف الشمس بثلاثة
أيام . بل أعد للهجوم عدته . ورتب للقتال جنوده . وما طلع فجر الغد الا وقد دكت الاسوار
وأسلمت الحصون وسقطت الآجام وفتحت القلاع أبوابها . فدخل عبد الرحمن الناصر مدينة
الجلالقة واحتاط لكل مفاجأة وانتفاض

سكر العرب بجمرة النصر ، وراحوا ينزلون باولئك الاعداء الالاء أنواع الانتقام وقد عجز
قوادهم عن كبسج جاحهم بعد ذلك الفوز المبين !

ترك عبد الرحمن الناصر جنوده وشأنهم وقد أطلقوا لثوران غضبهم العنان ، وامتطى صهوة
جواده . وانطلق ومعه بعض اتباعه متجولا في ميدان القتال ، باحنا عن جريح يواسيه وحزين
يعزيه وتائه يعيده الى أهله . . .

طرق أذنيه وهو مارتحت أسوار المدينة نجيب طفل يبكي . فانصت . ثم ترجل وقصد الى
مبعث الصوت . واذا به أمام وليد لا يزال في لفائفه مطروح بين الاعشاب في اخدود ضيق تحت
جدار مهدم . . .

فالتقطه عبد الرحمن واحتضنه وجعل يبذل له من تدليل وهدية ما يستطيع بذله رجل
عرف كيف يحب رعيته وابناءه

فسكت الطفل وارتسمت على ثغره ابتسامة الاطمئنان . وركن الى ذلك الصدر القوي كما يركن
المصفور الى عشه . فحمله عبد الرحمن الناصر على جواده ورد عليه طرف ردائه . واستمر في
جولاته في السهول والهضاب . . .

ثم قصد قبل غروب الشمس الى مضرب فسيح نصب امام تلك القنطرة التي شهدت من قبل
انهزام العرب وشهدت في ذلك اليوم انتصارهم . وهناك جلس الخليفة يحيط به امراء جيشه في ابهة
المجد وعظمة الملك ، وأمر ان يؤتى اليه بأسلاب المعركة . فر الجنود امام مولاهم وقائدهم يسوقون
الاسرى افواجا افواجا والسبايا جماعات جماعات . وفجأة علا في الخارج صراخ ونجيب وحدثت في
باب المضرب جلبة استرعت اهتمام عبد الرحمن وخاطب الحراس سائلا : « ما الخبر ؟ »

وقبل ان يلاقي سؤاله جوابا شقت صفوف الجنود امرأة فاقدة الصواب وقد حلت شعرها
ومزقت ثوبها وأرسلت صوتها بالنواح والمويل ، فوقفت في وسط المضرب صائحة :
— أين هو ملك العرب ؟

احاط بها الحراس من كل جانب . لكن عبد الرحمن ردهم عنها قائلا :

— دعوها ولا تزجروها . ! . هل بينكم من يعرف من امرها شيئا ؟

فقال احد الجنود :

— رايناها منذ ساعات يا امير المؤمنين تروح وتجيء بين الجثث والاطلال ، تارة تركض كأن
بها مسمأ من الجن وتارة تتكبد على الارض تفحصها وعلى الاشلاء تقلبها ، ثم تنهض حائرة يائسة ،
وتنقلب من جديد راكضة معولة ، فجئنا بها اليك يا مولاي مع من جئنا بهن من سبايا الحرب
فخاطب المرأة سائلا : أنا ملك العرب ! فمن أنت وما دهالك يا امرأة ؟

فنظرت اليه بعينين يتطاير منهما الشرر وينبعث منهما الحقد والغضب . وقالت :

— أعد إلى ولدى يا قاتل النساء وذابح الاطفال ! أهذا هو العدل الذى تحمله الينا والامان الذى تمدنا به ؟ . . ان جنودك يطلقون أيديهم فى السلب والنهب ويشقتون فى العراء من لا تتساوله سيوفهم من السكان . ويفصلون بين الاخ واخته والرجل وزوجته والام وطفلها ! امن اجل هذه الاعمال يسمونك « الناصر » يا عبد الرحمن ! انعم به إذن من نصر وانعم به من لقب ! فقطب الملك جبينه ونظر الى المدينة وقد اندلعت فيها النيران وارتفع منها الصياح . ثم نظر الى تلك المرأة المذعورة وخيل اليه ان الضمير قد تجسم فيها وجاء يؤنبه على الفظائع التى يرتكبها جنوده فى مدينة ذنبها الوحيد أنها دافعت عن حريتها وابت الخنوع والاستسلام ! والتفت الى من كانوا يحيطون به من القواد وقال :

— احملوا الى الجند أمرى بالكف عن الارهاق واضربوا عنق كل معاند مخالف !
ثم خاطب المرأة السمورية بلمهجة الرحيم الشفيق ، قائلاً :
— خففى عنك يا امرأة . انى أومن سكان هذه المدينة على ارواحهم وأموالهم فاطمئنى فتالت المرأة والزفرات تحنقها :

— وولدى ؟ . طفلى الرضيع الذى انتزعه جنودك الاجلاف من بين ذراعى فانتزعوا معه روحى من بين جنبي ؟ انعيده الى باعبد الرحمن ؟ ام انك تحمل ما تحرمه الشرائع وترضى بأن يرتكب جنودك ما ينهى عنه المسيح وينهى عنه محمد ؟ أعد الى ولدى اذا كان فى صدرك قلب يختلج بشعور الاب ويعرف حب الوالدين !
— ان قلب عبد الرحمن يا امرأة ليس بالقلب المظلم الجوانب كما تظنين . . . وقد تكون العناية الالهية هي التى قادتك الآن الى . انظرى ! ألا يكون هذا الطفل ولدك ؟
قال الخليفة هذا ، ورفع طرف ردهائه عن الطفل الذى حمله معه الى ذلك المضرب ، والذى كان نائماً مستكناً بجانبه ، ووضعه امام المرأة الحزينة

وكأن الرضيع أحس بأنه على مقربة من أمه ، فجعل يصرخ فرحاً مسروراً . .
فارسلت المرأة صيحة سرور وطرب واندفعت نحو الطفل تغمره بالقبلات وتغسله بالدموع ، ثم خرت على وجهها وسجدت شكراً . وقالت :

— انك ايها الملك لأعلى الملوك نفساً وارحمهم قلباً وأكرمهم خلقاً . فليرزقك الله عمراً طويلاً الأباد ، وليرع بعين عنايته أبناءك من بعدك وأحفادك من بعد أبنائك !
وكتب عبد الرحمن الناصر فى وصيته أنه حكم الاندلس خمسين سنة ، منها أربعة عشر يوماً يهداها « الايام السعيدة » فى حياته الطويلة

وذكر أن أحد تلك « الايام السعيدة » هو ذلك اليوم المشهود — « يوم سمورة » — الذى هزم فيه الاعداء ، واستولى على تلك المدينة الحصينة ، وأعاد الى الام السمورية الحزينة طفلها المفقود

ثروت باشا^(١)

يعود الى أرض آبائه

بقلم الأستاذ خليل ثابت

وفي مساء السبت أغارت على حمى الدنج تنازعني فتصرعني وأقارعها فتقرعني وأجالدها كما يجالده العدو المرهوب الجانب حتى ضاق الصدر ووهن العظم ، فانطرحت كما ينطرح المجاهد وقد خارت قواه ولم يبق له من الحيل سوى بث الشكوى وترديد البلوى والتمسك بحبل النجوى . وما أضعف الانسان ! . وخيم الظلام على الوجود وطلع القمر من خلال سحب دقيقة يستشف بعض ما في هذا الكون من أسرار السعادة والهناء وأسباب الحزن والأسى والشقاء . في تلك الساعة دخل الناعي يقول : « مات ثروت باشا » فغممت كمن يستوعب النبأ ، فاعاده على مسمعى وكنت قد صرت في البرزخ بين اليقظة والنمام . فاذا بي في غمرات من أحلام مزعجة وخواطر مفزعة ومناظر تنبو عنها العيون ، لا أخرج من غمرة حتى أخوض أخرى ولا أنجو من بلية حتى أبلى بشر منها ، وبحار وأمواج وارتفاع وانحدار وضوضاء كضوضاء يوم الحشر ودوى كمن وضع في أذنيه أنامله العشر ، ثم رأيت فيما رأيت جمعا كثيرا واقفا على شاطئ بحر لا أعرفه ورجالا يصعدون من البحر يحملون كنزا نفيسا يحرسون عليه حرصا عظيما فدفعوه إلى هؤلاء الواقفين فتسلموه واجمين وهم مقطبو الوجوه منقبضو الصدور ، ثم رأيت ثروت باشا باسمه كعادته وعيناه تحدقان في الناس من وراء نظارتيه وقد انبسطت اسارير وجهه بالرزانة والسكينة اللتين انصف بهما . وهنا أبدلت لوحة الرؤيا فتعاقبت المناظر وكلها شذائد لم أصدق ان طلع الفجر للخلاص من كابوسها . ثم أشرقت ذكاه وأفاضت أشعة النور والرجاء فحمدت الله على أن ما رأيت لم يكن سوى أضغاث أحلام ونسج مخيلة نسجته حمى الدنج ومزقته أنوار النهار . وبعد قليل جاءت الخادمة بصحيف الصباح كالعادة في أيام الاحد فوقع بصري على خطوط سوداء ضخمة وقرأت من بعيد اسم ثروت باشا في رأس تلك الخطوط ، فصفقت صفقة الاواء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله . لقد كان الامر حقاً ولم يكن حلماً فيا للضيعة الذكاء ومواهب الرجال والحكمة وسداد الرأي ! ويا لمصاب مصر في موت أبنائها الافئدة . كل نفس ذائقة الموت وكل ذى حياة شارب كأس المنون . ولكن هذا الموت جمرة تسكوى نفوس الاحياء وجذوة توقد نار الاسى في حنايا الضلوع

(١) مقتبس من مقال نشر بالمقطم

ومخادع الافئدة ، فلا تقوى الدموع على اطفائها الى أن يمن الله بالعزاء . وأى عزاء يلتبس في مصاب
قومى عظيم ؟ ومن يعزى المحزون اذا عم الحزن الجميع وكان البا كون جميع أفراد الشعب ؟ وأن
السبيل الى دفع الالم ، ألم ضربة فجائية انقضت من عالم الغيب على هامة أمة بأسرها لولا اليقين بالله
والشعور الوطيد ؟ فان هذا الراحل الكريم فقيد البلاد كلها لم يمت بالانتقال من عالم الشقاء والفناء الى
عالم الخلود والبقاء ، ما دامت مصابيح أعماله تبعث انوارها على ضفاف النيل شاهدة بخدماته الجليلة
وأعماله العظيمة وما حباه الله من فضائل وسجايا وقفها على قومه وعشيرته جواداً غير مقتدر ولا ضنين،
فمخلف لهم ارثاً ثميناً وترك تركة عظيمة يتمتعون بها هم وأولادهم وأحفادهم من بعدهم إلى ما شاء الله ،
وضرب للعاملين المثل الاعلى فى التفانى فى الخدمة الصحيحة والاقدام على جلائل الامور ومواصلة
السعى للنفع والخير ، لا يلبيه هو ولا يوهن عزيمته فشل ولا يثنيه عن قصده صعاب ولا عقبات

مات ثروت بعيداً عن وطنه الذى أحبه فخسرت مصر بموته ثروة عظيمة وشعرت فى الحال
بعضم خسارتها . وشاطرها هذا الشعور غيرها من الامم المتقدمة التى عرف اقطابها فقيد مصر الراحل
فاكبروا فيه هذه المواهب التى تجلت من نعومة اظفاره ، فاحرز بها قصب السبق على الاقران فى
مقاعد الدرس والتحصيل ، حتى اذا شب وبرز الى حلبة العمل تخاطفته المناصب متدرجة به صعوداً
فى سلم الارتقاء والعلاء الى مقام الوزارة والزعامة السياسية . وكانها العناية أعدته بما خبر من شؤون
الادارة والقضاء ومعالجة مشكلات الزمان والتمرس بمجوادث الدهر لما كانت تضمه لمصر من طريق
تسكب به عن حياة ماضية سئمتها الى حياة جديدة تصبو اليها ، وفيها مطلع عصر طافح بالامل
والرجاء وعصور تليه ، ويكون فيها تحقيق الامانى واقامة صروح النهضة القومية على القواعد التى وضعها
العاملون المحنكون الالباء ، وعاد ثروت الى أرض آبائه وأجداده ، فحملوه وهو المتصف بالتواضع
وحب العزلة والسكينة . على الاعناق وساروا به فى هذه الشوارع التى عرفها والتى أحبها صبياً
وبافعاً وشاباً وكهلاً والتى سعى سعيه المشكور ليطلق فيها نسيم الحرية والاستقلال يملأ الصدور
وتخفق به القلوب . ومشوا بثروت الهويناء فى وسط بحار الجماهير الزاخرة الآسفة الباكية وهى
الجموع التى كان ثروت يسهر لتنام ويطلق الراحة فى النهار لتستريح

وحملوه تحت رايات مصر المنكسة حزناً عليه واعترافاً له ، وهى الرايات التى كان يطمع أن يراها
تحقق الى جنب رايات الدول المستقلة حتى اكتحلت عيناه بهذه المنظر المشتبه فى غير موقف واحد
وفى غير مكان واحد ، فاعتزت بمساعيه مصر ورفعت رأسها فى مجامع الشعوب تطلب النور الساطع
والهواء الطلق ، كما ارتفعت بنودها وألويتها الخضراء منادية بأفصح لسان أن مصر عرفت كيف تضع
أساس صرح مجدها واستقلالها وستعرف كيف تمضى فى البنيان . ومشى وراء نعشه عظماء مصر من أمراء
البيت المالك ووزراء الدولة وسفراء الدول وجمع لا يحصى من أقطاب الامة وكرامها وممثلي هيئاتها وطبقتها
وهم يرددون الحشرات ويصمدون الزفرات ويحسون ما حوى النعش من كريم السجايا وعظيم المزايا

ويعمدون ما أصاب الكنانة بفقد من ادخرته لئلا يفقد فيها البدر ومهمات يبحث فيها عن ذوى
الرأى السيد . فاهتزت الكنانة بوفاته وارتجت أرجاؤها بنسبه ، وأقبل الذين تظلمهم سماؤها يعربون عما
تمكنه النفوس من عواطف الاحلال والاحترام بما فى طاقة البشر من محالى التكريم وعرفان الفضل
والجيل لهذا الراحل الذى نقش اسمه على لوحة تاريخ مصر الحديث نقشا لا يمحوه تماقبا الايام
وكانت فى كثير من الاحوال المحور الذى يدور عليه

كان الناس فى أمر ثروت رجلين : فرجل لا يعرفه ولا يخالطه فينبى رأيه فيه وحكمه له أو عليه
بما يسمع عنه وما يقال له ، ولسكن هذا الفريق كان يدرك أن ثروت من رجال مصر المعدودين
وانه رزق من الحنكة السياسية مالا يرزقه سوى قليل من الخلق . ورجل عرف هذا الوزير الكبير
فى مواطن القضاء والادارة والسياسة فكان يكبر ما فطر عليه من الذكاء واتقاد القرينة وسعة الحيلة فى
معالجة الامور ورحابة الصدر فى تلقى الحوادث . غير أن هذا كله كان مسدولا عليه ستار من السكينة
والدعة ورقة الخلق وشيء من حب العزلة ومقت الظهور مقرونة بحياء فى الطبع . وكانت هذه
الاخلاق تتجلى فى مظاهر شتى كاحجامه عن الخطابة الا فى مواقف نادرة مع أنه كان منشئا بليفاً
وخطيباً مجيداً . يذكر ذلك والعهد قريب الذين سمعوه يرثى سعدا والذين طالعوا هذا الرثاء فى
الصحف فقد كانت خطبته هذه آية من آيات البلاغة وحسن الانسجام علاوة على ماوعت من
سمو العواطف وصدق الوفاء . فهذا الميل الى العزلة ونفوره الفطرى من الكفاح والنضال كانا ينقصان
من مقدرة ثروت على تقليد الزعامات مع توافر سائر أسباب النجاح فيها له . أما حنكته السياسية فقد
صارت أشهر من نار على علم وحقيقة لا يختلف فيها اثنان بل صار اسمه عنوانا لها فلا يذكر الا
مقرونا بها فى الاذهان . فان مساعيه التى انتهت باعلان استقلال مصر بعدما أصرت الحكومة البريطانية
اصرارها المعروف على التمسك بنظام الحماية — ان هذه المساعى التى كللت بالنجاح بما عززت به من
الحجج الدامغة والادلة الساطعة والبيانات المقنعة أكسبت ثروته شهرة ذاعت فى الحافقين وأحلته محلا
رفيعا فى عيون أقطاب البريطانيين بدليل مالقى من حفاوتهم به واجلالهم له فى زيارته لبلادهم
وعاصمتهم فى صيف ١٩٢٦ وصيف ١٩٢٧ . ولا يتسع المجال هنا للبحث فيما اصبح من حقائق التاريخ
الشهرة . ولا بد أن ماسيظهر من الذى خفى حتى الساعة من تلك المساعى وما ذلل فيها من عقبات
سيزيد فى شهرة ثروت ويقضى برفع مرتبته السياسية فى العيون ويضاعف حسن تقدير جهاده
فى خدمة وطنه وقومه . أما مساعيه الاخيرة لعقد اتفاق بين مصر وبريطانيا فهذه لانزال مذكورة
بتفصيلها لقرب العهد بها وقد دافع فيها عن قضية مصر دفاعا محكما دل على صدق وطنيته وسعة خبرته
وشدة ذكائه وبعد نظره وحمل اقطاب الحكومة البريطانية على التسليم بنظريات وقواعد
ما كانوا يساهمون بها من قبل . واذا كان لم يفز بما اشتبهى فلأن أوان الفوز للجانب المصرى
لم يكن قد آن

الله والشاعر

صوت قصيدة لمرسلان على محمود طه

من عبراتي صفتُ هذا المقالُ ومن لهيب الروح هذا القلمُ
ملأتُ منه صفحات الليال فضمنتُ كلَّ معاني الألم

يارب ما أشقيتني في الوجود إلاَّ بقلي : ليته لم يكن !
في المثل الأعلى وحب الخلود حملته العبء الذي لم يهن

خلقته قلباً رقيق الشغاف يهيم بالنور ويهوى الجمالُ
حلتْ له النجوى ولدَّ الطواف بكعبة الحسن ووادي الخيال

بعثته طيراً خفوق الجناحِ على جناب ذات ظلٍ وماء
أطلقته فيها قبيل الصباح وقلت : غن الأرض لحن السماء

فيام في آفاقها الواسعة النور يهفو حوله والندى
مصقلاً للضحوة الساطعة وهنشداً ما شاء أن ينشدا

إن جاء صيف أو تجلى ربيعُ حيأُ منه عبقرى الغناء
وكم خريف في نشيد بديع تظل ترويه ليالى الشتاء

قيثارة تصدر في فنها عن عالم السحر ودنيا الخفاء
على الصدى الحائر من لحنها يستيقظ الفجر ويفنو المساء

مشت على الامواج انغامها والارض قيد النشوة المسكرة
كأنما ترقص احلامها في ليلة شرقية مغمرة

عزائوها شعر به اهزج في نغم مستعذب ساحر
ما يحزن العالم أو يبهج إلا على قيثارة الشاعر

الطاووس

للدكتور زكي مبارك

الطاووس طائر ذو جناحين ، ولكنه لا يستطيع النهوض ، لان ريشه عبء ثقيل . وهو طائر ذو كرامة ينفر من الابتدال . وهو الطائر الوحيد الذي رأته في حديقة النباتات في باريس يتعفف عن هدايا الزائرين . فقد تلقى اليه قطع الحلواء فيتعاضى عنها في أنفة وكبرياء . وريش الطاووس مشهور بالحسن . ويكاد صدره يفعل بالناظرين ما تفعل الصهباء بالالباب . وليس شيء يحل عن الوصف بقدر ما يحل صدر الطاووس . والناظر الذي الف ذوقه أن يقتات من الحسن لا يدري كيف يواجه تلك الفتنة العجيبة التي وهبها الله لذلك الطائر العزوف . ولقد طال ارتيادي لوادى الطير في حديقة النباتات ، وكان الطاووس في كل مرة هو أفقن ما أرى . ولكن كان يضايقتني منه شيء واحد : هو تعقله . والتعقل هو أشد مايؤذينا من أهل الجمال غير أنني دهشت في الزورة الأخيرة : فقد رأيت الطاواويس كلها في فرح يشبه الجنون لتوديع الشتاء واستقبال الربيع . ولأول مرة رأيت كيف يعجب الطاووس بنفسه . وكيف يفهم أنه من أجل المخلوقات : رأته وهو ينشر جناحيه في زهو واختيال ثم يدور على قدميه ليراه الزائرون من جميع الجوانب . وفي هذا ما يدل على أنه يشعر بجماله . وأنه بذلك مفتون

وله لحظات يقوم فيها برعشات كهربائية يسمع لها صرير يشبه حفيف الريح بين الأوراق . وأقول يشبه فقط ، لان تلك الرعشة الكهربائية التي يقوم بها الطاووس تعرض على الناظرين ألواناً فتانة من ريشه الجميل . وهذا الجانب من زهو الطاووس يدق عن الوصف والتثيل . ولا يدرك قيمته إلا من يراه . ولا يملك جمهور المتفرحين إلا جملة واحدة يكررونها في تواتر وانجذاب ، إذ يقولون : ما أجمله ! ما أجمله !

الطاووس طائر دقيق الذوق . وله عواطف واهواء ، وهو في عالم الطير يشبه الشاعر في عالم

الانسان

ليس للطاووس قلم يستهوى به أهل الجمال كما يفعل فريق من الكتاب والشعراء . وليس لديه قيامة يغزو بها القلوب كما يفعل الموفقون من أهل الفنون . ولكنه يملك تلك الرعشة الكهربائية حين يبسط جناحيه ، فهو يتقرب بها الى من يهوى في عالم الطاواويس فياليت شعري وقد فهم كيف يكون الغزل ، أهو أيضاً يفهم كيف يكون الأسي وكيف يكون

الآئين ؟ وهل كتب عليه يوماً أن يرى كيف تكون حسناته ذنباً عند بعض الأسراب ؟
انى لاحنو على الطاووس . فهو فيما رأيت يعنى نفسه فى نشر محاسنه وتظهر فى سياه علام
الفاق فى سبيل الوصل . فان كان هو أيضاً يخفق كما يخفق بعض الناس فليست الدنيا اذن إلا دار
شقاء للجميع !

بك بعض ماى أياها الطائر الجميل . وليس لدى بعض مالديك من آيات الحسن والاشراق
أنت تملك ذلك الريش الاخضر البراق . وأنا أملك ذلك القلم الاسود المقصوف . فيا بعد ماينى
وبينك حين تقوم النفائس والاعلاق !

كلانا غريب فى هذه الديار . ولكن الحسان تسعى اليك أسراباً اسراباً فى الضحى والاصيل .
أما انا فأتعقب الحسان من ملعب إلى ملعب ومن بستان إلى بستان . ثم أعود وليس لدى ما أذهب
به وحشة الليل غير ترتيل ما قال المعذبون من شعراء الوجدان !
وسلام الله على كل ساهر الجفن منطور القواد !

باريس فى أول ابريل سنة ١٩٣١

ليالى سنتريسى

ليالى النيل واللذات ذاهبة وجدى عليكن أشجاني فاضناني
لو يرجع الدهر لى منكن واحدة فى سنتريس ويدنى بعض خلانى
اذن تبين دهرى كيف يرحنى من ظلم همى ومن عدوان أحزاني

☆☆☆

كم ليلة فى جوار النيل ساجية قضيتها بين غادات وولدان
أعارض البدر فى اشراق طلعتة بأغيد مشرق الاوصال ريان
وأستبيح من اللذات ما رسمت اهواء صب غوى القلب شيطان
وأسلم اللوم تلحاني قوارصه اسراف لاه طروب الروح جذلان

☆☆☆

وذى دلال هو الدنيا وزينتها يردى الاسود بطرف منه نعان
كأثما فعل عينيه بعاشقه فعل المدامة فى أعطاف نشوان
شربت من ريقه راحاً مشعشة بخالص الحب لم تمزج بسلوان
وكم حبيب يراح الريق أسكرنى وكم جيل بورد الخد حياني

الادب والحياة

لا حياة للأدب العربية ما دام كتبها وشعراؤها وخطباؤها لا يرون المرأة في حرية وصراحة ولا يتأثرون بحجرونها في ميدان الحياة

وما دام شبابنا يسمعون عن المرأة كما يسمعون عن الغول والعنقاء . ولا يرونها حين يرونها الا قدرة دنسة في بيوت الرجس والبغاء فبهيات أن تتفتح أذهانهم أو تزهو قرائحهم أو تظهر على آثارهم الادبية مسحة التيقظ والتفكير . وتلك الرموس التي تتولى هداية الشرق في هذا العصر لا تدرى مع الاسف الشديد أن الصلة وثيقة بين الادب وبين الحياة — ان لم يكن الادب روح الحياة — وأنه لا أمل في أن نرى لكاتب قصة جيدة مادام الكتاب بعيدين كل البعد عن المرأة التي تلون الوجود بشتى الالوان ، فتحيله تارة جحما يرمى بالفزع والهلول ، ثم تعيده حين تشاء جنة وارفة الظلال . وكيف تكون لنا آداب قوية تمثل فضائلنا ورذائلنا وحلمنا وجهلنا وطيشنا ورزائنا وعقلنا وجنوننا ، ونحن نحصر على الطيبة والاستقامة في غيرهم ولا تبصر ، أسوة بغلف القلوب من سمامرة الاديان وأدعياء الاخلاق !

إنه لا حياة للأدب الا اذا شغلنا بأنفسنا ، وحدثتنا عن مطامعنا وأهوائنا وعيوبنا ومظان الخير فيها . وأرتنا كيف نحب وكيف نبغض ومتى نقدم ومتى نخجم . وعلمتنا كيف نحب وكيف نلهو ومتى نفسو ومتى نلين ... أما الادب الذي يصدر عن رجل مشغوذ معنوه ، كل احساس في رأيه إثم وكل إدراك عنده فسوق ، فهو أدب ميت سخيف لا يقوى به عقل ولا يسمو به خيال (١)

في سبيل المهجر

جنيت على الليالى غير ظالمة	انى لأهل لما القاء من زمنى
فما رأيت من الاخطار عادية	الا بنيت على أجوازها سكنى
ولا لحت من الآمال بارقة	الا تقحمت ما تجتاز من قنن
أحلت دنياى معنى لاقرار له	في ذمة المجد ما شردت من وسن

(١) مقتبس من مقدمة الطبعة الثالثة للكتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره »

مذهب العلم الحديث في

الدين وأصله^(١)

بقلم الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق

مقدمة في العلاقات بين العلم والدين

يقول اميل بوترو Emile Boutroux العالم الفرنسى فى كتابه « علم ودين » Science et Religion المطبوع فى باريس سنة ١٩١٧ ما يأتى :

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ يثير أشد العجب ، فانه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقلياً ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ولم ينقطع بينهما صراع ، يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب . على ان هذين النظامين لم يزالا قائمين ، ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنا انعكست الآية منذ ذاك ، وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة ، وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع » صحيفة ٣٤١ - ٣٤٢

ولسنا نريد أن تعرض لتاريخ العلاقات بين الدين والعلم على مر العصور وما تناوبها من سلام وحرب ، فان ذلك بحث يطول وليس هو بما قصدنا اليه فى هذه المحاضرات . على انه قد يكون غير خلو من المناسبة لغرضنا أن نشير الى موقف العلم والدين فى أيامنا هذه معتمدين على كتاب « اميل بوترو » المذكور آنفاً الذى يقول : « ليس التصادم الآن فيما يظهر بين الدين والعلم باعتبارهما مذهبين ، بل التصادم أدنى أن يكون بين الروح العلمى والروح الدينى . وليس يعنى العالم أن يكون الدين لا يثبت فى عقائده شيئاً غير متفق مع نتائج العلم ، فان هذه الدعاوى التى يجعلها الدين عقائد تتعلق الايمان بها تقييد الفهم والوجدان ، وهى فى الجملة تدل على اتصال الانسان بنوع من الاشياء يعجز علمنا الطبيعى عن إدراكه ، وفى ذلك ما يجعل العالم ، ان لم يرفض هذه الدعاوى نفسها ، رفض الاسلوب الذى يسلكه المتدين فى الاخذ بها ، والمتدين

(١) اخذناها من محاضرات القاها الاستاذ فى الجامعة الامبركية ببيروت

من ناحيته اذا وجد جميع عقائده وعواطفه وأحكامه العملية مفسرة بل مثبتة بالعلم يكون حينئذ أبعد شيء عن مسالة العلم، فان هذه الشئون إذا شرحت على هذا الوجه فقدت كل خواصها الدينية.

المبحث في تحديد الدين وبيان أصله

١ - بداية الاهتمام بهذا البحث وصلة ذلك بتكون علم اللغات

ندع هذا الصراع وتاريخه لتتجه إلى ناحية أخرى من نواحي البحوث العلمية الحديثة في الأديان، هي التي تقصد إلى دراستها وهي ناحية تعريف الدين والمراد بتعريف الدين تعيين الخصائص التي لا بد لكل دين منها، والتي لا يسمى الدين ديناً إلا بها. والبحث في تعريف الدين مرتبط أشد ارتباطاً بالبحث في أصل الدين وجراثيمه الأولى، فان حقيقة الشيء هي العناصر المكونة له في أبسط مظاهره، وقد نهضت همم العلماء لهذا البحث منذ نحو قرن من الزمان

تكون في القرن التاسع عشر علم اللغات وأدى تعاون الباحثين في ألسنة البشر - منذ أحدث أدوارها إلى أقدمها أي دور التكوين الأول للغة - إلى معرفة العناصر المؤلفة للغات الانسانية هنالك رأى الباحثون أنه يمكن على هذا المثال ادراك عناصر الفكر الانساني وجراثيمه دينياً كان ذلك الفكر أم غير ديني. أما ما وراء التكوين الأول للغة فهو لا يتصل بتاريخ الانسان وان كان مما يهم الباحث في طبائع الاجسام ذلك بأن الانسان هو اولا وبالذات مفكر، واللغة أول مظهر من مظاهر تفكيره

ويزيد على ذلك « ماكس مولر » Max Muller في كتابه « محاولة في تاريخ الأديان » Essais sur l'Histoire des Religions قوله : « ويمكن أن يقال في الدين ما قيل في اللسان من أن كل جديد فيه فهو قديم وكل قديم فيه فهو جديد، وانه منذ بداية العالم لم يوجد قط دين كله مبتدع. وإنما لنجد عناصر الدين وجراثيمه مهما سمونا في تاريخ الانسانية الى أبعد مدى مستطاع، وتاريخ الدين كتاريخ اللغة يربنا في كل مكان الواناً متتابعة من التأليف المستحدث بين عناصر اصلية قديمة ». ثم يقول ماكس مولر : « وإني لأشك في أن يكون قد آن الأوان لوضع خطة ثابتة لعلم الدين كالخطة التي وضعت لعلم اللغة »

وإذا لم يكن تم وضع هذه الخطة لعلم الدين لعهد « ماكس مولر » في أواخر القرن التاسع عشر فان علم الدين لما يقم إلى اليوم على خطة ثابتة. على أن جهود الباحثين في تاريخ الأديان لا تزال متواصلة في تعرف أصل الدين ووضع تعريف له جامع مانع على حد تعبير المنطقة ولا يزال الباحثون منذ القرن الماضي يحاولون أن يضعوا للأديان شجرة أنساب كالتي وضعوها للغات

٢ - البحث الأقوى في المعاني المتعارفة للكلمة الأوربية الدالة على الدين وفي أصل المادة اللاتينية وما استعانوا به على مقصدهم تعرف أصل المادة التي تدل على دين ، وتتبع المعاني المعروفة لكلمة «دين» نفسها . والكلمة التي تقابل عند الأمم الأوربية لفظ «دين» العربي هي « رليجيون » Religion المقتبسة من اللغة اللاتينية . وقد اختلفوا في مبدأ الاشتقاق لصيغة « رليجو » Religio اللاتينية ، على أن أكثر المتقدمين يردها إلى مادة تفيد معنى الربط الشامل لربط الناس ببعض الأعمال من جهة التزامهم لها ، ولربط الناس بعضهم ببعض ، ولربط البشر بالآلهة بل يحاول بعض متأخري العلماء أن يجعل مأخذ الكلمة شاملاً لمعنى الربط وما إليه كالجمع ، هذا مع اختلاف الأقاويل في اللفظ الأول الذي هو مصدر الاشتقاق

وكلمة « رليجو » Religio اللاتينية تدل في غالب استعمالها على معنى الشعور بحق الآلهة مع الخشية والاحترام . أما كلمة « رليجيون » Religion الحديثة فتطلق على معان ثلاثة :

١ - نظام اجتماعي لطائفة من الناس يؤلف بينها إقامة شعائر موقوتة وتعبد ببعض الصلوات وإيمان بأمر هو الكمال الذاتي المطلق وإيمان باتصال الإنسان بقوة روحانية أسمى منه حالة في السكون أو متعددة أو هي الله الواحد

٢ - حالة خاصة بالشخص مؤلفة من عواطف وعقائد ومن أعمال عادية تتعلق بالله

٣ - احترام في خشوع لقانون أو عادة أو عاطفة

ولعل هذا المعنى الأخير هو أقدم هذه المعاني . ولئن فصلت هذه المعاني ليسهل تحليلها فإن الغالب أن يدل اللفظ عليها مجتمعة مع غلبة المعنى الأول في بعض الأحوال ، وغلبة المعنى الثاني أحياناً

٣ - مذاهب البسيكولوجيين في أصل الدين

وقد رأينا أن من معاني الدين المتعارفة معنى يجعله من موضوع علم الاجتماع ، ومعنى يرده إلى علم النفس . أما الذين درسوا أصل الدين من الوجهة « البسيكولوجية » فمنهم من يرى أن جرثومة الدين تتولد من الإدراك المغروز في فطرة الإنسان للعناية والمعلولية بين الأشياء

ومنهم من يجعل أصل الدين شعور الإنسان بأنه تابع لغيره وليس مستقلاً ومنهم من يرد أصل الدين إلى ما يلقي في روع الإنسان بالفطرة من وجود لا يتناهى ومنهم من يرى أن الدين ينبعث من نزوع إلى الزهادة في الدنيا ويقول بعض علماء النفس أن هذا الحدث من أحداث الحياة « البسيكولوجية » ليس بسيطاً يمكن رده إلى سبب واحد بسيط من هذه الأسباب

٤ - مذاهب الاجتماعيين

وأما علماء الاجتماع فهم يرون أن الدين لا يخلو من معنى العاطفة النفسية ، ولكنه لا يخلو أيضاً من الاتصال بشؤون الجماعة ، بل ينتهي الأمر بالعلماء الاجتماعيين الباحثين في تاريخ الأديان وأصولها إلى اعتبار الصبغة الاجتماعية في الدين أقوى وأرسخ من كل صبغة سواها

مناظرة الهمداني و « الخوارزمي » (١)

بقلم الرسّانة كامل كيموني

أما أثر هذه المناظرة في « الهمداني » فقد أوجز « الثعالبي » في قوله : « فلما تصدى الهمداني لمساجاته ، وتعرض للتحكك به وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، طار ذكر الهمداني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، ودرت له أخلاف الرزق ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه ، بخلا الجو للهمداني »

وأما أثرها في الخوارزمي ، فكان كما يقول الثعالبي نفسه : « أتف من تلك الحال ، وانخذل انخذالاً شديداً . وكسف باله . وانخفض طرفه . ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره ونفذ قضاء الله فيه »

والحق أن هذه المناظرة كانت أشبه بمبايعة قهرية من الخوارزمي للهمداني . فقد انتهت المعركة بمثل ماتنتهي اليه هزيمة الملوك ، وانتقل تاج الشهرة من رأس الى رأس ! ولعل أصدق مثل ينطبق على ماحدث بين الهمداني والخوارزمي هو مثل السلحفاة والارنب المشهور ، حين تراهنا على السباق الى غاية ، فتهاون الارنب - اعتمادا على سرعته - وجدت السلحفاة لتعوض مافات من قوتها

فقد كان الخوارزمي - حينئذ - شيخا قضى عمره بين حل وترحال ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب - كما يقولون - وشرق بعد أن غرب ، وخبر الدهر وأهليه ، وتعرض لكيدهم الرؤساء وغضب الزعماء ، فلما تصدى الهمداني لمناظرته - وهو حينئذ في سن الشباب استخف به ولم يعد العدة لمنازلته ، وكأنما كان يتمثل قول القائل :

« عذرت البزل إن هي غالبتي فما بالي وبالي ابني لبون »

ولم يكن زهد الخوارزمي في مساجلته بأقل من دموع الهمداني بها وتحرقه اليها . لانه كان يرى فيها أكبر فرصة للظهور . الا ترى إلى الهمداني يبدأ بالتجني على الخوارزمي وتقريعه واتهامه بالخلفاء والكبر . فيرد عليه الخوارزمي رداً كريماً يحتمه باظهار خطأ الهمداني فيما ذهب اليه من توهم الجفوة ، فلا يكون للهمداني شاغل إلا استئثار الخوارزمي وتنقصه وعييه ، في كل ناد ومحفل مرتقبا الفرص لمنازلته وقهره ، ليصل بذلك الى الشهرة من أقرب طريق . فاذا بدا له أمل في الاجتماع به ، حرص

الهمداني على تعجل الفرصة وسعى جاهداً إلى تحقيقها - خشية أن تفلت من يده - كما يتم على ذلك قوله : « وافق أن السيد أبا على لسط للجمع بيني وبينه فدعاني فأجبت ، ثم عرض على حضور أبي بكر الخوارزمي فطلبت ذلك وقلت : « هذه عدة كنت استعجزها ، وفرصة لا أزال انتزها »

فتجشم السيد أبو الحسين وكتبه يستدعيه ، فاعتذر « أبو بكر » في التأخر ، فقلت : « لا ، ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ، ولا عزازة للموائق أن تضيقنا ولا نضيقها وتمينا ولا ندفعها ، وكتبته أنا أشحد عزيمته على البدار ، وألوى رأيه عن الاعتذار ، وأعرفه ما في ذلك من ظنون تشبهه ، وهم تتجه »

وهنا يقول الهمداني : « وقدنا إليه مركوباً لنكون قد أزمناه الحج وأعطيناه الراحة ، فجاءنا في طبق أف ، وعدد تف

كل بغيض قدده اصبح وأنفه خمسة أشبار ! » ولم يكن يستقر به الجلوس حتى بدأ يستثيره الهمداني ويتحرش به الى أن زج به في ميدان المساجلة ، وأنشده الهمداني أبياتاً كلها تهكم به وزراية عليه وتنقص لأدبه وقد أجاز الخوارزمي بيتاً للمتنبي كما أجاز الهمداني وعاب عليه الهمداني ما في نظمه من قافات مكروهة ، فلما بدأ الخوارزمي يعيب عليه قوله :

« يا أحق ! وكفالك ذلك خزية جربت نار معرفتي هل تحرق ! »

وينمي عليه صرف كلمة « أحق » أمطره الهمداني سيلاً من السباب ، فقال : « وأما أحق فلا يزال يصنعك لتصفه ، حتى ينصرف وتنصرف معه ! »

ومن العجيب ان الهمداني يسبه دون أن يقف في سفاهته عند حد . ومن غير أن يراعى فضل الرجل أو شيخوخته ، ثم لا ينجعل أن يقول له بعد ذلك : « يا هذا ان الادب غير سوء الادب والمناظرة حضرنا لا للمناظرة ، فان نفضت عن هذا السخف يدك ، وثبتت عن هذا السفه قصدك ، والا تركت مكالتك .. » الخ . فاذا انفض المجلس طفق الهمداني يروج في كل مكان أنه انتصر على الخوارزمي ايما انتصار ، وخذله أيما خذلان . ويرسل اليه - في نفس الوقت - رسائل الشوق والمجاملة والتحرق الى اللقاء . ويوفد رسلاً يصلحونه واياهم ! ولكن الخوارزمي يبعث اليه من يقول له : « قد تواترت الأخبار وتظاهرت الآثار في أنك قهرت . ولا أشك في أن هذا التواتر عنك صدرت اوائله . والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل . ولا بد أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء نتناظر بمشهد الخاصة والعامة الخ . » وإذن فقد بلغ الهمداني إربته ، واهتاج الخوارزمي فاندفع الى طلب المناظرة - بلا تدبر ولا

روية - فبعث اليه الهمداني بكلام ظاهره اعتذار ، وباطنه احتثات على المناظرة واستنفار اليها ومرت الأيام ، ثم جاء اليوم المشهود ، وعقدت المناظرة في دار الشيخ أبي القاسم المستوفي الوزير ، بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس . وهنا يبكر الهمداني في الحضور

ليتملق من حضر ويتردد الى الشهود — بكل ما في وسعه — ويدبر خطط الدفاع والهجوم تدبير
الحاذق الذكي

قال : « وكنت أول من حضر ، وانتظرت ملياً حضور من ينظر النخ . » فاذا رأى من بعض
الحاضرين شيئاً من الانحراف عنه ، تقرب اليه متملقاً ، كما فعل مع الشريف السيد أبي الحسين —
حين رأى منه جانب الاعراض — فقال له من كلام طويل :

« فان كنت أبلغت غير الواجب ، فلا يحمملك على ترك الواجب ، ثم ان لي في أهل الرسول
(صلى الله عليه وسلم) قصائد سارت في البلاد وطارت في الآفاق ، ولكنني أتسوق بها لديكم ، ولا
أتنفق بها عليكم ، وللاخرة قلتها للاحاضرة ، وللدين ادخرتها لالدنيا ! »

فقال للهمداني : « أنشدني بعضها » فأشده الهمداني شيئاً مما قاله ، فاذا حدث ؟ تترك للهمداني
نفسه روايته ، فهو يقول : « فلما أنشدت انحلت له العقدة ، وصار سلباً ، يوسعنا حلماً . النخ . » وبذلك
أصبح الشريف من أنصار الهمداني ومؤيديه . وجاء الخوارزمي — بعد أن تكامل العدد وتمت
المؤامرة — فقبول بفتور . ولم يكذب بحاس في مكانه الجدير به حتى طلب اليه الهمداني أن يتخلى عنه
الى غيره ، ووافقه الحاضرون على لبقائه وحذلقته . ولقد أخطأ الخوارزمي أشنع الخطأ حين رضى
بإبقاء والمناظرة في مجلس مشيع بروح الخصومة والدد . وليته اتبع قول ابن المقفع في وصف
صديق حازم : « وكان لا يدلي بحجته حتى يجد قاضياً فهماً وشهوداً عدولاً » اذن لا من عوائب
هذا الاندفاع والتسرع ، ولكن :

« ألا يا قوم للعجب العجيب وللغفلات تعرض للاريب »

ولكن كيف انهزم الخوارزمي في المناظرة ؟ ليس لدينا غير مصدر واحد نعتمد عليه في ذلك
هو رواية الهمداني نفسه ، وهي رواية خصم عن خصمه لا تقابل بغير الحذر والانتباه . وقد تعمد
« الهمداني » — بلا شك — أن يسجل فيها انتصاره مضاعفاً ، بأسلوب جديد من أقوى أساليب
الدعاية . ولو كان لدينا مصدر آخر لتكشفت لنا جوانب كثيرة تعمد الهمداني — بلا شك — أن
يخفيها عنا ، ليزعم لنفسه الفوز كاملاً والانتصار حاسماً . على أننا نلمح في كلام الهمداني نفسه أنه قد
انتصر على الخوارزمي انتصاراً ، الهزيمة خير منه

وقد ذكرنا للقارئ طرفاً من تلك الأساليب العجيبة التي سلكها الهمداني للتغلب على خصمه
الخوارزمي الأديب الكبير وابن أخت « الطبري » المؤرخ الكبير . وهي أساليب نعتها دوزنا قاسية
في التهافت المستنكر على الشهرة وعواقبه . فقد رأيت أنه لم يدع وسيلة من وسائل التهويش وتملق
الحاضرين وارضائهم الا أنها . فلما انتهت المناظرة وأراد تسجيل ما حدث فيها — كما شاء له الهوى —
طفق يكيل المدح كيلاً لكل من له خطر من الحاضرين حتى يأمن أن يكذبه في شيء مما رواه .
وطفق الهمداني وأنصاره وخصوم الخوارزمي يذيعون في كل مكان أن الخوارزمي قد انهزم شر

انهزام . ولكن هل كانت الهزيمة حاسمة ؟ ذلك ما ترتب فيه رغم ما يؤكد لنا الهمداني ، اويصوره لنا في روايته التي ليس لدينا مصدر سواها . ونحن نعتقد أن الهزيمة — ان كانت ثمة هزيمة — لم تكن وسائلها شريفة ، وليست تنقص من فضل الخوارزمي ، فقد كانت كل كلمة يقوها « الهمداني » تقابل بالاستحسان ويعرب الحاضرون عن رضاهم عنها بالقول والاشارة وانبساط الاسارير . وقد أحسن الخوارزمي في وصف خصمه بالشجدة فلم يمن أحد بقوله . مع أنه وصف صادق لادب الهمداني — في ذلك الحين — فقد طلب من مناظره مثلاً : أن يكتب كتاباً خالياً من الحروف العواطل ، وآخر أوائل سطورها كلها ميم وآخرها كلها جيم ، الى آخر هذه الامور التي لا ترى في وصفها أصدق من كلمة الشجدة

الشتاء في باريس

بقلم الدكتور بهر فارسي

رُبَّ فَجْرِ تَسْوَرِ الْ	يَمُّ فِيهِ إِلَى الْفَضَا
فَنَضَا الْكُونِ مِنْ صَبَا	حَقَّ جَنْبِيهِ مَا نَضَا
وَانْزَوَى الْبَلْبَلُ الْاَسْو	بِ عَنِ الْوَرْدِ مَعْرَضَا
حَسِبَ الْوَرْدُ أَنَّهُ	مَالَ وَارْتَدَّ مَبْغَضَا
فَنَدَوَى مَطْرَقًا عَبُو	سَاءَ وَسْرَعَاتِ مَا قَضَى
غَضَّ مِنْ سَيْرِهِ النَّسِيمُ	وَقَدْ رَنَّ مَرْمَضَا
كَفَنَ الْوَرْدَ بَيْنَ أَعْد	طَافِهِ ثُمَّ أَعْرَضَا
وَإِذَا الْبَلْبَلُ انْبَرَى	مَوْجَعُ الْجَنْبِ مَرْمَضَا
لَمْ الْوَرْدَ نَادِمًا	ثُمَّ فِي فَيْضِهِ مَضَى (١)

(١) مضى في فيض فلان أي شيع جنازته

الطابع العلمي^(١)

بقلم الأستاذ فؤاد صروف

ما الغرض من التعليم والتهديب؟ لماذا تنفق الاموال ونشيد المعاهد ونستدر اكف المحسنين، ونقضى الاعوام نذوق في خلالها صنوف الآلام العقلية، ثم نخرج من المدرسة ونحن ندرك، إذا كنا على شيء من العقل، مدى جهلنا؟ ما الغاية التي يرمى اليها الطالب وأبو الطالب، بل ما الغرض الذي يبغيه الرئيس والاستاذ؟ ألكسب ينبغي الاول العلم أم للزينة أم للمقام الاجتماعي أم للنفع العام؟ وهل يطلبه الثاني لتقويم الاخلاق أو لاجراج عمال للحكومة أو لاعداد جنود للوطن أو معلمين للمدارس أو تلاميذ يذيعون فكرة ويروجون لدعوة؟

من الواضح ان نوال التعليم يختلف باختلاف الغرض منه. ما أكثر الاغراض وما أعظم الاختلاف بينها! فالمرنى الانكليزى المشهور - الدكتور ارنولد - كان يرى الوداعة العقلية غاية التعليم القصوى. وهى صفة لن تستطيع العثور عليها فى « رجل أرسطو العاقي » إن غرض نيتشه يختلف عن غرض المعلمين المسيحيين، فهو يربى « للقوة » وهم يربون « للمحبة »! ثم ان الالمان والايطاليين واليابانيين يرون فى كل طالب جندياً يناضل فى سبيل الوطن، والأميركيين يطلبون « النجاح العملى »، والانجليز الدقة فى تأدية الواجب على حساب الذكاء، حتى إذا اتفق الباحثون على العناصر التى يجب أن يشتمل عليها الخلق الكامل، اختلفوا فى نسبة هذه العناصر بعضها إلى بعض. فالواحد يقدم الشجاعة والاقدام على الحرص. والثانى يظن فى القوة العقلية. والثالث يضع الدعة واللفظ فى المقام الاول. والرابع يرفع الواجب نحو الامة فوق الواجب نحو الذات. فعلينا ان نعرف الغرض الذى زمى اليه معرفة واضحة الحدود والمعلم لكي تتمكن من السعى الى تحقيقه سعياً مجدياً

☆☆☆

كان النشاط العقلى والجسدى أظهر الصفات فى رجل اليونان الامثل. وكان التراخى الجسدى، والتفكير الذى تغلب عليه صفة التأمل الهادى، أظهر الصفات فى رجل الصين الامثل. فكان السياسى اليونانى إذا غلب على أمره فى بلده وطرده منه لا يترزى على حكم الدهر عليه. بل يترغم حقنة من المشردين امثاله ويصلى الجماعة التى أذلته نار الحرب. أما المثقفون الصينيون فكانوا اميل إلى التأمل

(١) اختارها الكاتب من محاضرة القاها فى جامعة بيروت الاميركية بدعوة من جمعية « تهذيب الشبيبة »

والتشكيك والتعقيد بمجالى الجمال الهادى . وكان موظفهم اذا خرج من منصبه ينطلق إلى عزلة على قمة جبل لينظم اشعاراً فى مسرات الحياة القروية

فالتعليم الصينى أنتج « استقراراً » . ولعل هذا ما ينتظر من تعليم قائم على الريبة والشك . وأما التعليم اليونانى فانتج تحولاً وحرباً ، لأن المعتقدات التى نعتقد فى صحتها بكل جوارحنا ونؤيدها بكل قوانا ، لا تحمّلنا على الاستقرار بل تدفعنا الى الكفاح فى سبيلها . لذلك قضت الحضارة اليونانية على نفسها بايدى أبنائها . أما الحضارة الصينية فاستقرت على ما هي عليه آلاف السنين ولا تزال تنتظر من يقضى عليها من الغرب أو من أبنائها المثقفين بأساليب الغرب

وكان التعليم اليونانى جرثومة الحضارة الغربية الحديثة ، حملها العرب بعد ما تعهدوها بكل أساليب العناية والنماء ، حتى اتصلت أخيراً باليابان — جارة الصين — فجعلها اليابانيون أساساً لنهضتهم الحديثة ، ولكنهم جعلوا « المجد القومى » غرضاً لهذا التعليم الدينامى ، فاختصوا له كل قوى التلميذ الجسدية والعقلية والروحية

وكلا الموقفين — أى كلا التعليمين — تعليم الصينيين فى الطرف الواحد وتعليم اليابان فى الطرف الآخر ، خطر على العمران الحديث . فالاول يتهدى فى التشكيك والريبة حتى يفضيا به الى الجلود ، والثانى يتهدى فى التحكم والايما بتحكمه وقوته حتى يصبح أبنائوه وهم كلقنابل المنطلقة

أما والارتقاء المتزن هو غرض الحياة الاسمى ، فالتمادى فى التشكيك المفضى الى الجلود ، لا يجدى نفعاً فى ميدان كفاحها . أما وقد أصبح العمران بفضل العلم والصناعة معقد التركيب محكم الترابط دقيق الاحساس ، فالتمادى فى التحكم — الذى يجعل الثورة والحرب سبيل الارتقاء الوحيد — مبعث خطر يهدد الحضارة بالانقراض

فغرض التعليم يجب أن يكون : « الايمان بأن الحصول على المعرفة مستطاع الى حد ما ولكنه صعب كل الصعب . وان جانباً كبيراً مما نعرفه أو نحسبه معرفة يحتمل أن يكون خاطئاً . وأن هذه الاخطاء تصحح بالاختبار والدرس . كذلك علينا أن نعلم الطالب أنه حين ينطلق فى عمله اليومى ، لتحقيق رغائبه ، يجب أن يكون بالغ الحذر ، حيث يحتمل أن يكون الخطأ اليسير باعثاً على ضرر عظيم . ومع ذلك فلا بد أن تكون غرائزنا ورغائبنا أساساً لكل اعمالنا . وهذه الحالة العقلية — حالة الحذر الدائم واليقظة المستمرة لحفظ التوازن بين ما تقضى به النوازع وما يمل به العقل — حالة دقيقة كل الدقة . انها تحتاج الى أعظم جانب من ثقافة العقل ورياضة النفس . ولكنها على دقتها غير متعذرة على من يرضى ان يبذل فى سبيلها جهداً خالصاً . هي فى الواقع الطريقة العلمية ، بل هي صميم الطابع العلمى

« ان المعرفة ككل اطياب الحياة صعبة المنال . ولكن منالها ممكن . اما المتحكم فينسى الصعوبة . واما المشكك فينكر الامكان »

في استقبال سعد

خطبة للسيد محمد الفقيهي التفتازاني

يا سعد

حيثك دنيا مصر ، فليحيك باسم أولاد الرسول وحفدة البتول واحد منهم
يحييك معجباً بما أسلفت لوطنك العزيز من جهد لا يذهب خيره ولا يضيع عند الله ولا عند
الناس أجره ، ذا كراً لك مواقف تكشف منك عن عزيمة وجلادة وصلابة إرادة
أيها الرئيس الجليل

لقد كنا نتبع ما يطالعنا به البرق والبريد معا من أنباء جهادك ، فاذا دعوت آمنا ، وإذا
صرخت لبينا ، مخلصين في ذلك كله للوطن ، متمنين النجح لأوطاننا العربية جميعاً لأن الاسلام
لا يعرف وطناً ولا اقليماً ، وإنما هو وطن شامل لجميع أهله ، والعربية كذلك تجمع شتات الناطقين
بها دون تفريق بين دين ودين ولا تمييز بين فريق وفريق
وحسب المتجرد لعقيدة ينصرها أو لمبدأ يدين به ما يحسه من الغبطة بالفناء في عقيدته أو مبدئه
فناء كما يعرفه أئمة الصوفية يحق الأثنية الفردية ويبقى على الروح التي هي المظهر الاقدس
للموجود الأول

ذلك لأن ما قد نصل اليه بالصبر من النجح في القضية المصرية يعتبر نجحاً وفوزاً للشرق كله .
وما مصر الا تاجه الوضاء ومناره الهادي وسجل مجده وفخاره
أيها الرئيس الجليل

ليهنك يوم لم تطلع مثل شمسك على ملك من الملوك الصيد ولا على فاتح من ذادة الثغور . ولو
أتيسح مثله لبعض المشترعين لكفل لهم بقيا شريعتهم ولضمن لهم خلودها . ولو طلع مثله بما كان لك
على أحد من هداة آل البيت عليهم السلام في ابان دعوتهم وجدة أمرهم وزهو طالعهم ، لكان
من خلفهم الآن المتوجون عن رضى يدين به المسلمون ، ولتربع في دسوت رعاية البشر منهم
الأمرون والناهون . وهانحن الآن وقد نقشنا صورتك الشيخة الفقية على صفحات مهجائنا نقش
المدى على رفاق الالكباد محوطة بآية من كتاب الله الكريم تزلت في اسلاف آل محمد عليهم
السلام وهي لك اليوم : « إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً »

واشد ما كنا نغبط بما تحرزه من الفوز في ميادين النضال السيامي ! لأن هذا الفوز ليس في

رجع أمره إلا فوزاً للامة التى تمثلها أنت وموكلوها من أعضاء وفدها
لقد جمعت الامة على أن يكون وفدها هو الناطق بلسانها . وعيناً حاول اللورد مازن أن يصل
إلى بغيته من مفاوضة أحد من رجالها ، ورده السكلى إلى الوكيل المفوض ، مبيناً له أن الوفد وحده
هو صاحب الحق فى التحدث عن القضية المصرية جملة وتفصيلاً . وما كان أشد اغتباطنا يوم ترامى
إينا أن الوفد الذى هو فخارنا القومي نزل عند رأى الامة فى تحفظاتها على تقرير لجنة اللورد
ملز وتحمى أن يزج بنفسه فى مفاوضته على غير وضع رأى الامة !

أجل أيها الرئيس الجليل

انا انما نعتبط بأن يكون الوفد كما تريده الامة مرجعاً لقضيتها وحكماً لاطرفا فى هذه القضية .
ولو أن التحفظات قبلت من الطرف الآخر لكان هذا القبول داعياً إلى امضاء المعاهدة . ولكن
لا بد أن تكون هذه التحفظات موضع بحث إلى جانب اندادها من الضمانات التى يطالب بها الخصوم .
وما دام مرجع الأمر الى الاقتناع والاعتناع فستكون محبتك هى الظافرة حين الرجعى الى قويم
رأيك . ولا أظن دليلك على احقاق الحق الا موفقاً حين يلجأ الى قويم حكمك

أيها الرئيس الكريم العظيم

انك ووفدك مأمونون الايراد والاصدار بعيدون عن كل ظنة ، ولذلك كان الاعود على كرامة
الامة بالتوقيع والاجدى على الوطن بالاكبار والاليق به اعتزازاً ، أن تتلاحم الصفوف ، وأن
تتناسى الاحن وتحتفى الاحقاد ، وأن يشد الله بك وبأصحابك العضد ، حتى نصل إلى غايتنا من
السيادة والحرية فى بلادنا

وهنا يجب أن ألبى داعى الله عند قوله الكريم : « ولتكن أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » . يجب أن يتناصح الجميع تناصحا ينتفى به
الزهو ، وتمحق به الكبرياء ، لنكون جميعاً ادنى الى الصواب منا الى الخطأ

أيها الرئيس الجليل

ان مصر طواعية لا كراهية ، مدفوعة بدافع الحب والاحترام ، لا بدافع الرغبة والارغام ،
قد استحالت كلها مظهارة ، وحقت من حولك تستقبلك وتحبك وتهنئك بتوفيق الأوبة السالمة
وتفديك ، ثقة منها بسداد رأيك وثقوب ذهنك ونبل مسعاك . فكن لها كما خلقت عارياً من كل
ثوب الا مجدها مجرداً من كل نصير الاجندها

وقد عانت مصر من آلام فرقنك فى سبيل نصرة قضيتها من الصبر على بلاء الغاصبين الظالمين
مانكل الى الله أن يعوضها منه الامن والطمأنينة ، وأن ينشر فى ربوعها العدل والسكينة . وقد
أصبحت مصر والله الحمد والمنة وليس تحت سماها من أهلها من لا يعمل لاعلاء منارها

شعر الاخاء والاخوان

من مقال الأستاذ عبد الله عفيفي

الاخاء والاخوان

وذلك فن من الشعر قال فيه المصريون عن علم ، وقالوا عن عقيدة ، وقالوا فيه عن فطرة ووجدان

والمصري اليف بالطبع ودود بالفطرة ، أنيس بالغريزة . يوثق حبل الاخاء ويستوثق به ، ويصفيه ويصفو له ، ويحتليه ويحن اليه

لذلك قال الشعراء المصريون أحسن ما قيل في مواتاة الاخوان ، وفي معاتبة الاخوان . وفي شكوى الاخوان . لأن الرجل الصافي الأليف يكثر الشكوى والعتاب اذا لمح ظلا من نبوة الود وتبين أثراً من انحراف الصدق

وحديث الاخاء والاخوان في العهد الفاطمي حديث شائق طريف . فيه متعة للنفس وفيه راحة للروح . وفيه فرجة للصدر ، وفيه ظرف وأدب ، وفيه علم وفن ، وفيه ايضاً اذكاء للحزن وتهيج للحسرات على ما نراه من فساد الاخاء والاخوان في هذا الزمان

والحق اني ماقرأت حديث الاخاء في الشعر الفاطمي ، وما ذكرت تألف الناس وتواصلهم أفراداً وطوائف ، وفرقاً وجماعات في ذلك العهد الذي نادى بانه وانقضى خبره - إلا أحسست لوعة مبثوثة من الحزن على ما أجده من الغل والحقد والفساد والشنائ في اخوان الزمان

ان اكثر ما قيل من الشعر الفاطمي قيل في وصف الاخوان ، ومدح الاخوان ، وموادة الاخوان ، ودعوة الاخوان للاخوان . فاذا التقوا تذاكروا الشعر وتجاوزوا الشعر ، فكان للروية منهم نصيب وكان للبديهة منهم نصيب

وكانوا لا يلتقون الا على بساط روض او تحت ظلال دوح او في رحاب مسجد أو منازة دير أو على شاطئ بحر او نهر او بركة أو غدير . وفي كل موطن من تلك المواطن يموت الحقد وتفتى الضغينة . وفي كل بقعة من تلك البقاع يفيض الشعر وتثمر القريحة . وهم من انفسهم وافئدتهم في روضة زاهرة بالالفة مشمرة بالاخاء لا يعصف بها الاثم ولا تعبت بها الاهواء

والعهد الفاطمي عهد المواسم والاعياد . فما كان الناس في القاهرة يفضون من عيد الا الى موسم ، وما كانوا ينتقلون من موسم الا الى عيد ، وفي هذه المواسم والاعياد كان الناس يجدون

فنونا من الانس والبهجة والسرور تروح عنهم ما كانوا فيه من عمل دائب وجهد شديد ، وكان الخليفة او نائبه يستقبل الناس في هذه الاعياد طوائف وجماعات ، وكان الشعراء أكثر الناس ابتهاجاً وأوثقهم ألفة واجتماعاً وأخصبهم نجعة وارتداداً في هذه الايام . فقد جرى بعض خلفاء هذه الدول على تسجيل صور الشعراء ومرائهم وأعطيائهم في ديوان خاص ، وانما حدثك هذا الحديث لتعلم أن طبيعة الحياة في ذلك العهد الكريم كانت تدعو الى توثيق الالفه وإحكام أواصر الاخاء بين الاخوان

أما الآن ، وقد طغت المدنية المادية على العقول والقلوب ورائت الشهوات المادية على العقائد والآراء ، واستذلت المطاعم والمنازع أعناق الرجال ، فأين تجد الصفاء والاخاء ؟ ومن تطلب المودة والوفاء ؟

وفيم يجتمع اخوان هذا الزمان ؟ ! أهم يتذاكرون الشعر ويتجادبونه ؟ . أهم يتناقلون الادب ويتسامرون به ؟ . أهم يتعاونون على غوث اللهيء وعون الضعيف من اخوانهم أو على رعايته في أهله وبنيه ان كان مات عن أهل وأبناء ؟ . لا . لا . لا هذا ، ولا بعض هذا ، ولا ما يشبه أن يكون ذلك

هم لا يتذاكرون الشعر ، ولا يتناقلون الأدب ، ولا يتعاونون على البر والتقوى ، وإنما يجتمعون ليعيث الحاضر في الغائب ، ويسطو الفاحش على الوادع ، فاذا نهض من جماعتهم واحد كان ذلك الواحد المسكين هو الغرض الذي يتعاورونه ويتعاونون عليه

أشد ما تحتاج اليه جماعات الاخوان في هذا الزمان : النبل ، والرجولة ، وعفة الغيب ، ونقاء الصدر ، وصفاء الضمير ، وان أكبر عيبك عند أحدهم أو عند جماعتهم أن يرزقك الله نباهة في الاسم ، أو كرامة في المنزلة ، أو اقبالاً على جد العمل ، فهو يرى من حقه ومن واجبه أن يدافع تلك النباهة بالكذب والوقعة ، وأن يصيب تلك الكرامة باللغو والمفسدة ، وان يكدر ذلك العمل الجاد باللغو والبهتان . ولقد تصاحب الرجل عشرين عاماً أو تزيد ، ثم تتركه خمسة أيام أو تنقص ، فاذا به قد عاث في غيبتك وولغ في كرامتك ، ومد لسانه كشبابة العقر يطعن به الاديء الصحيح وينفث به السم الدفين

أساس هذا الضيق في الخلق ضيق الاجتماع . فالرجل عندنا اما لزيمة النساء في المنزل يجاذبهن الحديث عن طول امرأة وقصر أخرى ، وعن نصفه امرأة وخيبة أخرى ، وعن الخلاف الذي شجر بين امرأة وأخرى . واما رهين المشارب العامة المنشورة في أحياء المدينة وعلى مفارق طرقاتها حيث الضجيج واللغو والضيق والزحام وفساد الجو واختلاط الجماعات . فاما منازلنا ومراتعنا وفسحات وادينا ومسارح نيلنا فقد خلق كله لغيرنا

في تأبين امير الشعراء

من قصيدة المستاذ بشارة الخوري

قف في ربي الخلد واهتف باسم شاعره
وامسح جبينك بالركن الذي انبلجت
إلهة الشعر قامت عن ميامنه
والحور قصت شذورا من غداثرها
أتراب مريم تلهو في خمائله
والملمون بنو هومير ما تركوا
فسدرة المنتهى أدنى منابر
اشعة الوحي شعرا من منابر
وربة النثر قامت عن ميامنه
وارسلتها بديلا من ستائر
ورسط جبريل يحبو في مقاصره
لما أهل لهم سجعا لطائر

قال الملائك من هذا فقيل لهم
هذا الذي نظم الارواح فانتظمت
هذا الذي رفع الاهرام من ادب
هذا الذي لمس الآلام فابتسمت
كم في ثغور العذارى من بوارقه
سل جنة الخلد كم وددت أزاهرها
وصادح الطير لو سالت حناجرها
والزهر لو كن ازرازا مفضضة
شوقي سلوا الافق هل ثارت عجاجته
شوقي سلوا البحر هل جنت عواصفه
شوقي سلوا الليل هل كانت كواكبه
في مآتم الشعر والاقلام مطرقة
ما بلدة سمدت بالنهر يغمرها
هذا هو الشرق هذا ضوء ناظره
عقدا من الحب سلك من خواطره
وكان في تاجها اعلى جواهره
جراحها ثم ذابت في محاجر
وفي جفون اليتامى من مواطره
لو استحالت عبيرا في مجامره
مع الصباح نشيدا في مزاهره
على الذبول الضوافي من مآزره
لما نوى المتنبي في مغائره
لما كبا بان سينا جد عاثره
لما قضى غير شوك في نواظره
فان ارادته غصت في محابره
بكل أزهر حالي العود ناضره

والسنبيل المتثنى في غداثه
والنحل يرضع من ثديي أزاهره
ويفرقون الليالى في سرائره
على صباح بسكى الطرف غائره
خرساء كلقبر غرقى في دياجره
وغار في لهوات من هواجره
ولا المساء لعوب في جزائره
للشوك جفت على دامي أظافره
لناشديه ولا نجم لساكره
فرد رقيق حواشى الذكر دائره
إذا أصاب الردى شعباً بشاعره

إلا وأطلعت الفأ من نظائره
إلا وأنبت روضاً من بواكره
كما علمت ومصر في بشائره
أو كان دمعك إلا في محاجره
أو كان شاعر مصر غير شاعره
نمنا وما نام دهر عن مقاديره
كالنجم خلف رقيق من ستائره
في الجاهلية ماضى البطش قاهره
وبين كل ضعيف القلب خائره
في مثلها من كليل الطرف حائره
لا يؤخذ الشيء الا من مصادره

بالبلبل المتغني في ملاعبه
بالخقل ترعى به القطعان هائنه
يستقبل الفجر أهلوها بغرته
ناموا على سرر الاعراس وانتبهوا
على ما تم من طير ومن شجر
ياللزنية ! . . غال النهر غائله
فلا الصباح ضحوك في شواطئه
وأسلم الزهر أجيادا متضده
والناس في غمرة عماية لا وتر
ما اخطب بالنهر مجرى الروح في بلد
كالخطب يدوى له كيون بجملته

يا مصر ما انفتحت على حسن
ولا تفتقت الافكار عن أدب
لبنان يا مصر مصر في ما تمه
هل كان قلبك إلا في جوانحه
أو كان منبت مصر غير منبته
شوقى أتذكر اذ عاليه موعدا
واذ طلعت علينا أصفرا وجلا
ونحن حولك عكاف على صنم
وأنت تحت يد الآسى ورأفته
ولا بتسامتك الصفراء رجفتمها
سألتنه رثاء خذه من كبدي

تجارة مصر قبل الحملة الفرنسية (١)

بقلم الأستاذ احمد حافظ بك عوض

لم يكن من الممكن مع حكومة كحكومة الممالك أن تنمو التجارة ، أو تتسع المعاملات الداخلية والخارجية ، وقد سبق لنا أن شرحنا في هذه المقدمة أن مصر لم تعد بعد طريق التجارة الشرقية القادمة من موانئ آسيا إلى أوروبا ، بعد أن اكتشف طريق الرجاء الصالح . ولو كانت على ضفاف النيل حكومة عادلة ، لفضل التجار ارسال متاجرهم عن طريق البحر الأحمر ، ونقلها من السويس إلى الاسكندرية بدلاً من تعرضها لآخطار البحار العظمى حول افريقية وواسع المحيط الاطلانطى (وسنزيد هذه النقطة ايضاحاً عند الكلام على تجارة الهند) . . ولو أن الحكومة العثمانية ، بعد فتح مصر ، فكرت في صالح نمو التجارة ، وقدرت خسارة مستعمرتها الجديدة ، من اكتشاف طريق الرجاء الصالح ، خصوصاً وقد حاربت بأساطيلها البرتغال الذين كانوا يهددون تجارة مصر ، كما سبق لنا بيانه ، نقول لو أن الحكومة العثمانية فكرت في هذا الأمر ، وأعادت حفر خليج أمير المؤمنين (الذى احتفراه عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب لنقل المؤونة إلى الحجاز ، والذي أمر بردمه ، في سنة ١٣٤ هجرية ، الخليفة المنصور أبو جعفر ثاني الخلفاء العباسيين لكي يمنع وصول الامداد إلى العلويين الذين طالبوا بالخلافة في المدينة المنورة) - لسهلت للتجارة النقل بحراً من الهند إلى أوروبا ، عن طريق مصر . ولسكنهم لم يفعلوا هذا ، ولم يتمكنوا من نشر سيادتهم البحرية في المياه الهندية . وزد على ذلك أن مظالم الممالك وتعليهم على التجار الاوربيين الذين كانوا يأتون لشراء حاصلات مصر ، وما يصل اليها من الممالك الشرقية الاسيوية بطريق القوافل ، كانت من أكبر الضربات على التجارة المصرية . ولقد انمط مقام الاسكندرية حتى لم يبق فيها من السكان إلا ثمانية آلاف وزاد الطين بلة فيها أن الحكومة العثمانية احتكرت لنفسها الجزء القديم من الميناء وهو الجزء الذى يصلح لرسو السفن . فكانت السفن الاجنبية القادمة بالمتاجرة وللشراء مضطرة أن ترسو خارج الميناء الجديد معرضة للزوابع والزعازع . وروى مؤرخو الافرنج (في سنة ١٧٦٦) أنه بينما كان على بك الكبير يحارب الدولة هبت ريح عاتية أغرقت اثنتين واربعين سفينة كانت راسية في ميناء الاسكندرية ولم تكن الاسكندرية متصلة بالنيل بقناة تنقل لها الماء العذب ، وكانت هناك قناة مرسومة في الخرائط الفرنسية وهى التربة المسماة بالمحمودية ، نسبة إلى السلطان محمود ، ولكن

(١) اخترناها من كتاب « فتح مصر الحديث »

أما كانت توصل المياه إلا زمن الفيضان فقط ، فكان اعتماد سكانها على مياه الأمطار وحاول جماعة من تجار الانكليز تسيير القوافل بين السويس والقاهرة لنقل المتاجر الهندية الى عاصمة القطر ، ثم نقلها بواسطة النيل الى دمياط أو رشيد . ولكن مظالم المالك وتعدى العربان على القوافل أوقف تلك المشروعات التي كانت تساعد على نمو التجارة المصرية . وليست هذه الأقوال لكتاب أوريين حتى يتهموا بالتعصب لقومهم ، فان الشيخ عبد الرحمن الجبرتي يقول في ترجمة مراد بك : « فأحدث المترجم ديواناً خاصاً بشتر رشيد على الغلال التي تحمل الى بلاد الافرنج وسموه ديوان البدعة . واذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج وغيرها . وجعل على كل أردب ديناراً خلاف البراني (يعنى الرشوة والمغارم) . والتزم بذلك رجل من أعوانه الموصوفين بالجور وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالاً وإراداً عظيمة . وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيين وطمعهم في الاقليم المصرى . بعد ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ونهب تجارتهم وبضاعتهم ، من غير ثمن . واقتدى به أمراءه (أمراء مراد بك) وتناظروا في ذلك وفعل كل منهم ما وصلت اليه همته واستخرجته فطنته » وقال عنه أيضاً : « واختص بالسيد محمد كريم السكندري ورفع شأنه بين أقرانه فهد له الامور بالثغر وأجرى أحكامه به . وفتح له باب المصادرات والغرامات ودله على مخبات الامور ، وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الافرنج . حتى تجسست العدواة بين المصريين والفرنسيين » الخ . وقال في ترجمة السيد محمد كريم المذكور : « وقلده مراد بك أمر الديوان والجارك بالثغر فراد في المكوسات ومصادرات التجار ، خصوصاً الافرنج »

ومن رأى « جودت باشا » في تاريخه أن الذى دعا الفرنسيين للحملة على مصر هو ما أتاه المعلم نقولا النصرانى الذى جعله حسن باشا قيودان رئيساً للقلونجية (البحارة) فى الترسانة التى شادها هذا بالحيزة لانشاء السفن . فانه بعد أن اشتد نفوذه وعظم شأنه أكثر من التعدى على سفن الاسلام والافرنج معا . وكانت نتيجة ذلك كله أن مصر تدهورت الى هوة الخراب الاقتصادى الذى تجرعت منه الامرين . وقاسى منه أهلها الجوع والعراء والمظالم نحو ثلاثة قرون من الزمان . حتى اضمحل شأنها وفقدت منزلتها التى كانت لها فى العالم القديم والحديث . وحتى هجرها أهلها ، وهى البلاد التى لا يحب أهلها هجرها . ولا غرابة أن تتضاءل مصر فى ثلثمائة عام حتى تعود خيالاً لما كانت عليه من قبل . وحتى ينقص عدد سكانها من نحو ١٥ مليوناً الى نحو مليونين ونصف . ولكن بالرغم من كل هذا فانه بقيت لمصر تجارة ترد اليها بالقوافل من اليمن وبلاد الحبشة وسوريا شرقاً ، وطرابلس وتونس والجزائر والصحراء غرباً . فكان يرد من اليمن البن وبهارات الهند والاقشة الهندية الجميلة . ويرد من الحبشة الصمغ والعاج والريش . ومن دمشق الاقشة الحريرية المشهورة . ومن بلاد العرب والصحراء الصوف والجلود والتمر وما أشبه ذلك

العبقريّة

بقلم الأستاذ محمد أساف الفاضلي

ليست العبقريّة في بيت أحكم سبكه ، وفصح لفظه ، وبلغ إيجازه ، وأنس السمع مجازه ، وأضاء كالشمس معناه ، وساق مثلاً ، وحمل حكمة . فكأن من أبيات ، قد اشتملت على هذي الصفات ، ولم تقترب من العبقريّة قيد فتر . لكنها من وراء ذلك : إنها روح القائل في قوله ، إنها الحياة سرت في كلمات ، إنها القول من كلام الناس وليس من كلام الناس ، إنها المقاصد قد رمى فقرطس راميتها ، وغزا فأب بفتح في القول غازيها ، إنها الكلام يكاد ينطق ، يكاد يشب ، يكاد يقوم في الجمع خطيباً ، يكاد يجي في عهد الخلاعة ، في عهد الفجور ، في عهد الانتداب ، في عهد الانكليز ، يزفن مع النساء الراقصات الزافنات ويفنى عندليباً . إنها الحسن لم يعتمد في كل حين . وانه الجمال يبهز المجتلين . فينشدون دهشين قول شوقي وهو دون العشرين :

« صوني جمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني »
« أو فابتغي فلكا تأوينه ملكا لم يتخذ شركا في العالم الفاني »
« ينساب في النور مشغوقاً بصورته منعما في بديعات الحلّ هاني »
« إذا تبسم أبدى الكون زينته وان تنفس أهدى طيب ريحان »
وأما رصانة السبك . وأما حسن الديباجة . وأما اطراد الاسلوب . وأما صحة اللفظ . وأما اتضاح المعنى . وأما ضبط اللغة . فنفضيلة صاحبهن كلا فضيلة . وهل يسمى الكلام كلاماً فقط . « بس » إلا بكل ذلك ؟

إنها العبقريّة . إنها العبقريّة لا يد لصاحبها فيها . ولا عمل ثمة لبيت . أو كُتّاب . أو مدرسة . أو كلية . أو جامعة . أو بيئة . ولو كان في الجامعات خير كبير لخرج في الناس عباقر كثير . وقد يجلو الصيقل جوهرًا فيشع وينير ، ولكن

« السيف مالم يلف فيه صيقل من سنخه لم يفتنع بصقال »
إنها العبقريّة إنما تجي من فوق . إنها إنما تهبط من السماء « إن هو إلا وحي يوحى »

فهرس

صفحة	صفحة
١٠٥ فقيد الامة العربية (قصيدة)	مقدمة
١٠٧ حزن أب (قصة)	١ في حضرة الرئيس
١١٠ الخطيب والجمهور	٣ الرحالة في الصحراء
١١٣ الامبراطورية المصرية	٧ الملك فيصل
١١٨ السعادة واركائها الاربعة	١٠ شلالات نياغرا
١٢٠ ملكة تدمر (قصيدة)	١٣ وقفة في ظل تمثال (قصيدة)
١٢٢ القوة والعلم هما دعائم الحياة	١٨ العهد الجديد في حياة الانسان العقلية
١٢٤ روح المدنية	٢٠ عبقرية جيتي
١٢٩ شبابنا الجديد : آماله وأخطاه	٢٣ خزانة الذكريات
١٣٢ يا قر (قصيدة)	٢٥ الفروسة : تاريخها ومبادئها ورسومها
١٣٣ البلاغة في اللغة العربية	٢٨ المهاجر (قصيدة)
١٣٧ وصف القلب (قصيدة)	٣٠ الطفلة وجريه القلم
١٣٨ رجعة اوربا الى الاحتشام والتقيد	٣٤ التسامح
١٤٢ خدمة الفكر في عصر المادة	٤٠ الحرب العظمى (قصيدة)
١٤٥ في عيد القضاء الاهلي (قصيدة)	٤٢ اطو خريطتها
١٤٦ ضمير فلق	٤٤ فرعونيون وعرب
١٤٨ في الحركة الوطنية (قصيدة)	٤٦ مقياس الرقي
١٤٩ جلنار	٤٩ عظيم . . .
١٥١ مقتطفات	٥٢ ليالى البدر (قصيدة)
١٥٢ فلسفة الحب عند العرب	٥٤ جراف تسبان
١٥٧ روح فياض (قصيدة)	٥٦ دمعى (قصيدة)
١٥٨ احزان الانسانية	٥٧ الساقون الثلاثة
١٦١ قصيدة ابى الهول	٦١ حديث قطين
١٦٤ عبد الرحمن الناصر	٦٥ المدنية المصرية القديمة
١٧٠ ثروت باشا	٧١ يازمان
١٧٣ الله والشاعر (قصيدة)	٧٣ بأى ميزان وزن الحياة
١٧٤ الطاووس	٧٧ وحى جبال شاموني
١٧٧ مذهب العلم الحديث في الدين وأصله	٨٠ مقتطفات
١٨٠ مناظرة الهمداني والحوارزمي	٨١ المال
١٨٣ الشتاء في باريس	٨٤ محور الادب
١٨٤ الطابع العلمي	٨٧ الفقر والسقام
١٨٦ في استقبال سعد	٩٠ خطبة الاستاذ فيكري أباظة
١٨٨ شعر الاخاء والاخوان	٩٣ شبابنا في المجتمع
١٩٠ في تأبين امير الشعراء	٩٧ الازهار المداسة
١٩٢ تجارة مصر قبل الحملة الفرنسية	١٠٠ ابراهيم لتكولن
٩٤١ العبقريه	١٠٣ الاسترقاق عند المصريين وفي الاسلام